سلسلة

معارف إلهية

تكشف عن آخر ما توصلت إليه

أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

١

المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي

بقلم

الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخرِ ما توصَّلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام
(١)

المنهج المختار
في
قراءة بيانات الوحي

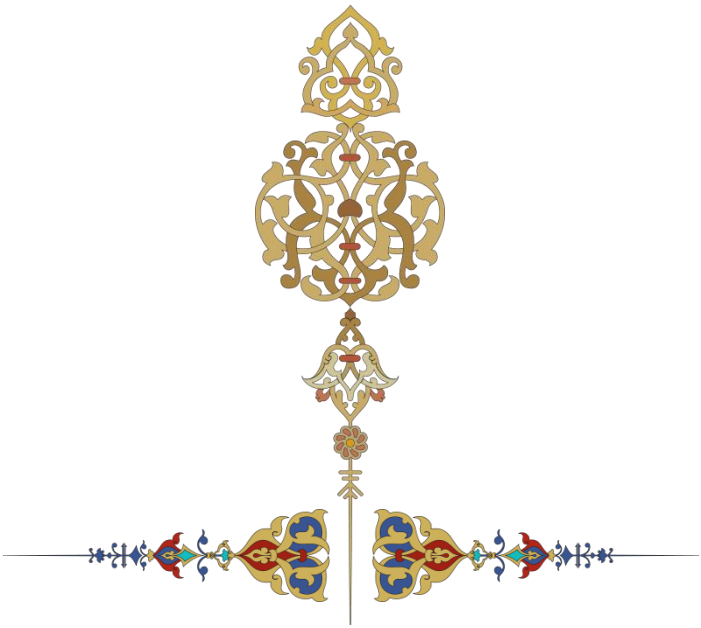

الْمَنْهَجُ الْمُخْتَار

فِـي

قِرَاءَةِ بَيَانَاتِ الْوَحِي

بقلم

الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

أسم الكتاب /

المنهج المختار
في
قراءة بيانات الوحي

بقلم /
الشيخ كامل بدر الحلفي
النجف الأشرف

محفوظة جميع الحقوق

سنة الطبع /
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣ م
الطبعة / الأولى

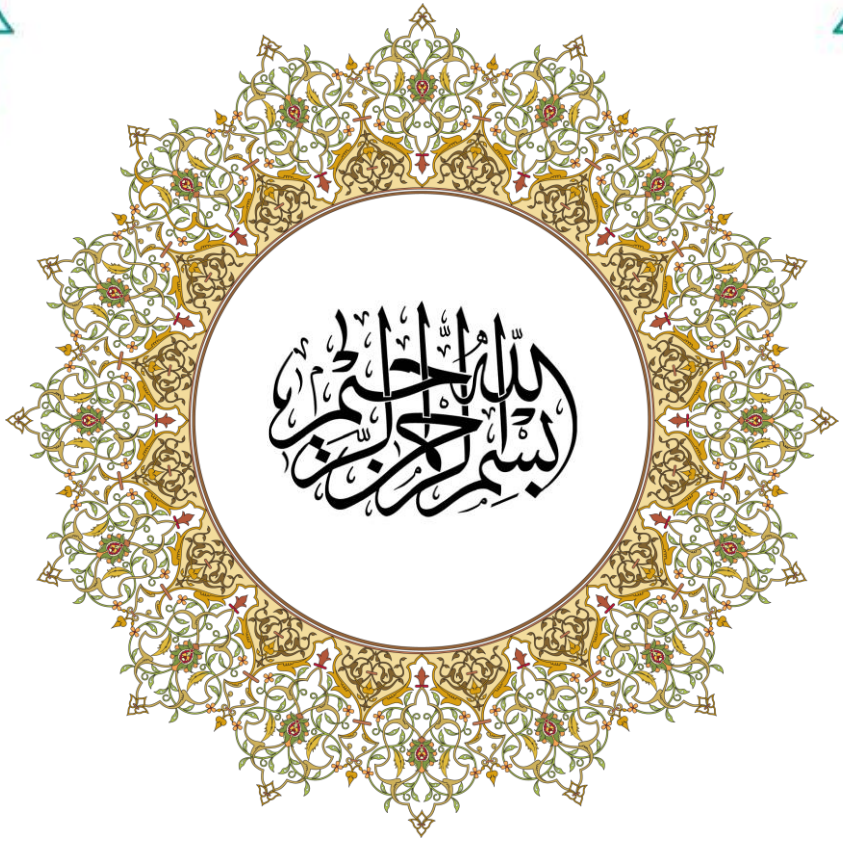
بسم الله الرحمن الرحيم

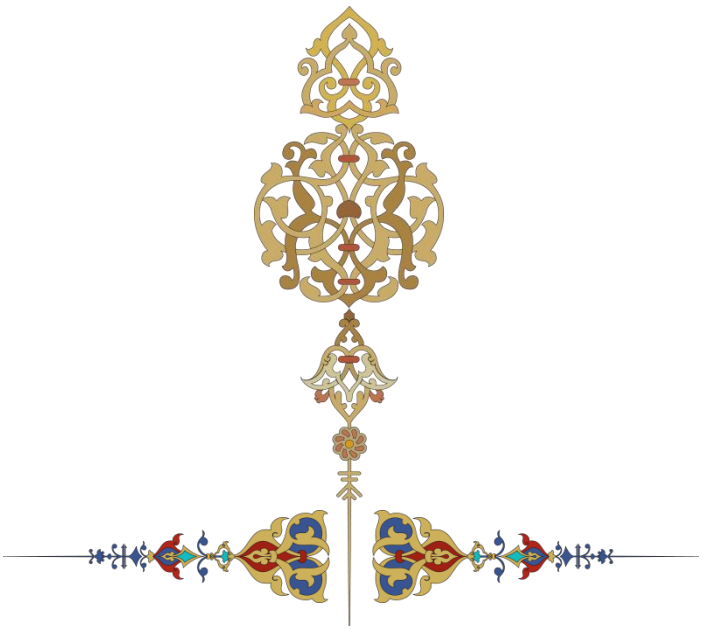

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّـه الَّذي لا مِنْ شَيءٍ كان ، ولا مِنْ شيءٍ كوَّن ما قد كان ، المُستشهِد بحدوث الأَشياء على أَزَليَّته ، وبما وَسَمَها به من العجز على قدرته، وبما اضطرَّها إِليه من الفناء على دوامه. وأَفضل الصَّلاة وأَتَمّ السَّلام على مُحَمَّدٍ عبده ورسوله ، المُقَرُّ في خير مُستقرّ ، المُتناسخ من أَكارم الأَصلاب ومُطهَّرات الأَرحام. وعلى آله مَحَالِّ قُدس اللّـه ، وشرف الأُمَّة ، وسادة الأَئمَّة ، ونواميس العصر ، وأَحبار الدَّهر ، وسادة العباد ، وساسة البلاد ، والسَّبيل والسَّلسبيل، والنَّهج القويم ، والطِّريق المُستقيم ، نابها الأَكبر ، وسَنَامها الأَطول ، وهامتها الأَعظم. واللَّعنة الدَّائمة أَبد الآباد

ودهر الدُّهور على أَعدائهم وشانِئيهم وظالميهم ومتابعيهم ؛ وغاصبي حقوقهم ، ومنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي شيعتهم من الأَوَّلين والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار الأَوَّل الَّذي مَنَّ الله تعالىٰ علينا أَنْ وفَّقنا لإِصداره ضمن هذه السِّلْسِلَة ، وهي سِلْسِلَة المعارف والعقائد المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقلي ، بل والوحياني ، والمُستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الحديثة الدَّائرة في أَروقة حوزة النجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف) ، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة ، وقياماً بفروض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البلىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام المُقَدَّس والإِيمان الأَقْدَس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

وهذا الإِصدار يتعرَّض للمذهب والمنهج العلميّ المُختَار في التَّعاطي مع بيانات الوحي الجبَّار ، وقراءتها ، وهو مذهب ومنهج مشهور طبقات فقهاء وعلماء مدرسة الإِماميَّة (أَعزَّهم الله تعالىٰ) ـ كما نقل ذلك الشَّيخ الأَنصاري في رسائله ـ ، منهم : الشَّيخ المفيد ، والسَّيِّد المرتضىٰ ، وابن البراج ، والحلبيُّون ، والكشِّي ، والنَّجَاشِيّ ، وابن الغضائري (الابن) ، وابن إِدريس ، وابن زهرة ، والمُحقِّق الحلِّيّ ، بل والشَّيخ الطُّوسيّ وإِنْ اختلف مبناه قليلاً. نعم هذا المنهج مُغيَّبٌ ومهجورٌ في يومنا هذا.

ومنه سبحانه وتعالىٰ أَسأل التَّوفيق لي ولأُخوتي المؤمنين ، وصلَّىٰ الله على محمَّدٍ وآله الطَّاهرين.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

الثلاثاء/ ٢٠ مُحَرَّم/ ١٤٤٥هـ.

المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي

إِنْ المنهج المختار في التَّعاطي مع بيانات الوحي وقراءتها مُبْتَنٍ على لغتين وقراءتين أَساسيَّتين ، وهما منهج مَنْ بلغ مقام التَّعَلُّم من أَولياء اللَّـه :

الأُوْلَى : اللغة والقراءة العقليَّة

إِنَّ المنهج المختار في التَّعامُل والتَّعاطي مع بيانات الوحي الإِلٰهيّ ـ الوارد في أَبواب المعارف والبحث العقائديّ ـ لا يدور مدار التَّعَبُّد الظَّنِّيّ في السَّند أَو الصُّدور أَو الدِّلالة ؛ فإِنَّه وإِنْ كان مفيداً للنقل والإِيصال الحسيّ ـ وهو غاية دور العلم النَّقلي كـ : (التَّواتر)،

و(الإستفاضة) فضلاً عمَّا دونه من : (الظَّنِّ العقلي) ، أَو (النَّقل الظَّنِّي) ـ لكنَّه ليس بمثمرٍ بمفردِهِ لغاية : (اليقين العقلي) فضلاً عمَّـا فوقه من (اليقين الوحياني) ، بل غاية العلم النَّقلـي : إِعداد لدور : (الفهم) و(العقل)[١] لدرك أَشعَّة الوحي ، وإِنَّما[٢] يدور مدار إِستخراج الدَّليل والبيان والبرهان العقلي من بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف ؛ من خلال: (اللغة والقراءة العقليَّة) المستندة إِلى مُقَدِّمات عقليَّة أَيضاً تفوح من تلك البيانات الوحيانيَّة.

وقـد ذهب إِلى هذا الـمنهج جملة من أُسود علماء معارف الإِمـاميَّة وفقهائها (تقدَّست أَسرارهم وأَعلىٰ الله مقاماتهم) ، منهم : الشَّيخ الطُّوسيّ ، والخواجة نصير الدِّين الطُّوسيّ ، والمُقَدَّس الأَردبيلي، والشَّيخ المجلسيّ ، والشَّيخ البهائي، والميرزا القُمِّيّ.

بعد الإلتفات : أَنَّ لغة بيانات الوحي المعرفيَّة : لغة عقليَّة وحيانيَّة ؛ لأَنَّ العقل من نتاجات الوحي الإِلٰهيّ ، لكنَّها وإِنْ كانت لغة

---

(١) سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) توضيح بعض معالم حقيقة : (الفهم) ، و(العقل) في ذيل هذه المسألة ، تحت عنوان : تنبيهات ، فانتظر.

(٢) هذه العبارة عدل للعبارة السَّابقة ، وهي : « إِنَّ المنهج المختار .. لا يدور مدار التَّعَبُّد الظَّنِّيّ... » وإِنَّما يدور ... .

عقليَّة ـ ولم تكن لغة قانونيَّة ، أَو لغة أَخلاقيَّة ، أَو لغة روائيَّة ، أَو لغة علم حديث ، أَو لغة علوم دينيَّة أُخرىٰ ـ إِلَّا أَنَّها أَعظم من نتاج العقل البشري الأَرضي بما لا يتناهىٰ.

وهذه القضيَّة تأتي في طرِّ أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ـ كـ : باب : (التَّوحيد)، و(النُّبُوَّة) ، و(الإِمامة) ، و(المعاد) ـ فإِنَّها تُرىٰ بعين العقل الوحيانيِّ ، لا بعين العقل البشريِّ ولا بعين الحسِّ ولا بعين الخيال ، فلا تستطيع لغة علم فقه الفروع ، أَو لغة علم الكلام ، أَو لغة علم الفلسفة ، أَو لغة علم الرِّجَال ... قراءتها.

نعم لِلُغة الحسِّ والنَّقل ولغات هذه العلوم دور تمهيديّ وإِعداديّ لِلُّغة العقليَّة الوحيانيَّة ، وليس دوراً غائيّاً نهائيّاً ، وإِلَّا فخدعة وإِماتة للعلم.

وإِلى هذه اللغة تشير بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن الأصبغ بن نباتة ، قال : «... قَامَ إِلَيه رَجُل يقال له : (ذعلب) ، فقال: يا أَمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: **ويلك يا ذعلب ، لم أكن بالَّذي أعبد رَبّاً لم أَره** . قال : فكيف رأيته؟ صِفْهُ لَنَا. قال: **ويلك ، لم تـره العيون بمشاهدة الأَبصار ، ولكن**

رأته القلوب بحقائق الإيمـان ...» (١) .

٢ـ بيان جواب الإمام الصَّادق عليه السلام عن سؤال الزِّنْدِيق : «... كيف يعبد الله الخلق ولم يروه ؟ قال عليه السلام : **رأته القلوب بنور الإيمان ، وَأَثْبَتَتْهُ العقول بيقظتها إثبات العيان ...»** (٢) .

٣ـ بيان الإمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام ، عن هشام بن الحكم ، قال: «... **يا هشام : إِنَّ اللَّـهَ (تبارك وتعالىٰ) أَكْمَلَ للنَّاس الحُجَجَ بالْعُقُول ، وَنَصَرَ النَّبِيِّين بالبيان ، وَدَلَّـهُم على رُبُوبِيَّتِهِ بِالأَدِلَّة ، فقال :** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣) . **يا هشام : قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ ذٰلِكَ دليلاً على معرفته بأَنَّ لَـهُم مُدَبِّراً ، فقال :** ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤) ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤ : ٢٧/ ح٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٠ : ١٦٤.

(٣) البقرة : ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٤) النحل : ١٢.

وقال : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١)، وقال : ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢)، وقال: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣)، ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤)، وقال : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٥)، وقال : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) غافر : ٦٧.

(٢) الجاثية : ٥.

(٣) الحديد : ١٧.

(٤) الرعد : ٤.

(٥) الروم : ٢٤.

تَعْقِلُونَ﴾ (١)، وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) ...» (٣).

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

بل هذه القواعد الوحيانيَّة العقليَّة لا يمكن قراءتها بلغة أُخرىٰ غير اللغة العقليَّة الوحيانيَّة.

نظيره: معاني اللغة العربيَّة الإعتباريَّة، فإنَّه لا يُمكن قراءتها بلغة إعتباريَّة أُخرىٰ، كاللغة الإنكليزيَّة، بل لا بُدَّ من قراءتها بنفس اللغة العربيَّة.

وبالجملة: المغزىٰ العقلي المُستفاد مِنْ بيانات الوحيّ لا يمكن إستخراجه بالمباشرة من ظاهر وسطح اللَّفظ إلَّا بقطع المُتَدَبِّر مسافة السَّطح والغور في العمق. كما لا يمكن استخراجه وقراءته بقوَّة: الحسِّ، أَو الخيال، أَو الوَهْم، أَو العقل البشري، بل بقوَّة العقل الوحيانيّ، فهي القوَّة الوحيدة المتاح لها قراءة هذا النُّوع من الكلام،

---

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) الروم: ٢٨.

(٣) أُصول الكافي، ١: ١٣/ح١٢.

ومِنْ ثَمَّ حصرت سلسلة من بيانات الوحي فهم جملة من الأَفعال والأَحكام التَّكوينيَّة ، بل التَّكوين برمَّته ـ كلغة لها تأْويل ـ بأُوْلي العقل واللُّب والكياسة والفطنة .

وهذه اللغة لا يتمكَّن منها أُسراء : المادَّة الغليظة والحسّ والخيال والوَهْم والعقل البشري ، ومِنْ ثَمَّ لا يَقرأ الطَّابع الإِلٰهيّ في شتَّىٰ العلوم ـ كعلم الفيزياء ـ إِلَّا نوابغها ، فهم مَنْ تَحْصَل لديهم حالة خشوع وتَذَلُّل وقشعريرة للعظمة الإِلٰهيَّة ، من خلال رؤية الجمال والعظمة الإِلٰهيَّة من الأَفعال التَّكوينيَّة وما وراءها من عظمة ومصدر قوَّة وحكمة ، ومناجاة [1] الـخالق (جلَّ قدسه) لجملة المخلوقات .

ومعناه : أَنَّ كلَّ ما يرومه المخلوق من جواب يجده حاضراً لديه من ساحة القدس الإِلٰهيَّة في أَعماق عَالَم التَّكوين ؛ ففيه صفحات وفصول عن كلِّ شاردةٍ وواردةٍ .

إِذَنْ: يمكن قـراءة: (الـدِّين) ، و(الشَّـريـعـة) ، و(العـقـائـد)، و(المعارف) ، و(الآداب) ، و(الأَخلاق) وغيرها من صفحات عَالَم

---

(١) هذا عطف على كلمة : (عظمة) فتكون العبارة كالتَّالي: «فهم مَنْ تحصل لديهم ... من خلال رؤية الجمال ... من الأَفعال التَّكوينيَّة وما وراءها من عظمة ... وما وراءها من مناجاة الخالق (جلَّ قدسه)...».

التَّكوين .

ومنه تَتَّضِح : نكتة إِصرار القرآن الكريم على الصِّلَة بين حقيقته وحقيقة عَالَم التَّكوين برمَّته .

فانظر : بياناته الوافرة الباهرة ، منها :

بيان قوله عزَّ ذكره : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١) .

والمراد من : (الكتاب المبين) : القرآن الكريم ، كما أُشير إليه في بيان قوله تبارك اسمه : ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)، وبيان قوله جلَّ شأنه : ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٣) .

إحداث العلم والمعلومة الحقَّة لأَهل البيت عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّ دور أَهل البيت عليهم السلام: سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله والعترة

---

(١) الأنعام : ٥٩.

(٢) الزخرف : ١ـ ٣.

(٣) الدخان : ١ ـ ٤.

الطَّاهرة عليهم السلام كمُعلِّمين إلٰهيِّين في إحداث العلم بالوحي لدىٰ الطَّرف ـ الوارد والمؤكَّد عليه [١] في بيانات الوحي الوافرة، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٢].

٢ـ بيان قوله جلَّ قدسه : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [٣].

٣ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : « ... **ثُمَّ خلق الأَشياء من نوري ونور عَلِيّ عليه السلام، ثُمَّ جعلنا عن يمين العرش فَسَبَّحْنا فَسَبَّحَت الملائكة ، فَهَلَّلْنا فَهَلَّلُوا ، وَكَبَّرْنا فَكَبَّرُوا ، فكُلّ مَنْ سَبَّحَ الله وَكَبَّرَهُ فإِنَّ ذلك من تعليم عَلِيّ عليه السلام** » [٤].

ومضمون هذا البيان الشَّريف نفس مضمون بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**أَنَا مدينة الْعِلم وَعَلِيّ بابها** ...» [٥]. فإِنَّه بيان دينيٌّ معرفيٌّ عقائديٌّ شامل ـ كالدِّين والمعرفة والعقائد الإِلٰهيَّة ـ لطرِّ العوالم وجملة المخلوقات

---

(١) المرجع الضمير : (دور الـمُعَلِّم الإِلٰهي).

(٢) الجمعة : ٢.

(٣) العنكبوت : ٤٩.

(٤) بحار الأَنوار، ٢٥ : ٢٤/ ح٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ١٠ : ١٢٠.

اللامتناهية.

٤ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «... **نحن ... مصابيح العلم ... وموضع سرّ الله ، ووديعة الله جلَّ اسمه في عباده ... نحن الأَسماء الحُسنىٰ ... جعلنا لسانه النَّاطق في خلقه ... ووجهه الَّذي يؤتىٰ منه ، وبابه الَّذي يدلُّ عليه ، وخُزَّان علمه ، وتراجمة وحيه وأَعلام دينه ... ولولانا ما عُرِفَ الله ...**» (١).

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **نحن حُجَّة الله في عباده ... وأُمناؤه على وحيه ، وخزَّانه على علمه ، ووجهه الَّذي يؤتىٰ منه ... ولسانه النَّاطق ، وبابه الَّذي يدلُّ عليه ، نحن العالمون بأمره ، والدَّاعون إِلى سبيله ، بنا عُرِفَ الله ، وبنا عُبِدَ الله ، نحن الأَدِلَّاءُ على الله ، ولولانا ما عُبِدَ اللّـه**» (٢) ـ (٣) لا يقلّ أَهميَّة عن كونهم أَولياء إِلٰهيِّين.

وجملة المخلوقات في طرِّ العوالم تلتجئ إِلى أَهل البيت صلوات الله عليهم في باب العلم والتَّعَلُّم بِغَضِّ النَّظَر عن كونهم أَولياء ، بل إِنَّ

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٤ـ٥/ح٧ . المحتضر : ١٢٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٦٠/ح٣٨. توحيد الصدوق : ١٤١.

(٣) هذه الشَّارطة عدل لسابقتها المجعولة قبل كلمة : (الواردة) ، فتكون العبارة كالتَّالي : «إِنَّ دور أَهل البيت عليهم السلام ... كمعلِّمين إِلٰهيِّين في إِحداث العلم بالوحي لدىٰ الطَّرف لا يقلُّ أَهميَّة عن كونهم أَولياء إِلٰهيِّين».

أَجْلَىٰ مظاهر تولِّي ولايتهم عليهم السلام لا يَتِمُّ إِلَّا مِنْ خلال أَخذ العلم عنهم صلوات الله عليهم.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ إِطلاق بيان أَمير المؤمنين عليه السلام في وَصِيَّته لِكُمَيْل بن زياد : « **يا كميل بن زياد ... مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وأَنا أفتحه ... يا كميل ، لا تأخذ إِلَّا عنَّا تَكُنْ مِنَّا ، ياكميل ، مَا مِنْ حركة إِلَّا وَأَنْتَ محتاج فيها إِلى معرفة ... يا كميل ، إِنَّما المؤمن مَنْ قال بقولنا ، فَمَنْ تَخَلَّفَ عَنَّا قصر عنَّا ، وَمَنْ قصر عنَّا لم يلحق بنا ، وَمَنْ لم يكن معنا ففي الدَّرك الأَسفل من النَّار...** » (١) .

٢ـ إِطلاق بيانه عليه السلام أَيضاً : « **... آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ... مَنْ عرفهم وأَخَذ منهم فهو منهم ، وإِليه الإِشارة بقوله : ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾** (٢) .... » (٣) .

٣ـ إِطلاق بيانه عليه السلام أَيضاً : « **... إِنَّ الشَّاكَّ في أُمورنا وَعُلُوْمِنا كالمُسْتَهْزِئ في معرفتنا وحقوقنا ...** » (٤) .

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢١٦ ـ ٢١٧/ ح١.

(٢) إبراهيم : ٣٦.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٧٣/ ح٣٨.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٦ : ٢٢١ ـ ٢٢٢/ ح٤٧.

ضحالة منهج : (حصر طريق المعرفة بالظَّنِّ التَّعَبُّدِي)

ومن كُلِّ هذا يتَّضح : غرابة حصر منهج وطريق المعرفة بالظَّنِّ التَّعَبُّديّ ؛ فإِنَّ الظَّنَّ التَّعَبُّديّ النَّقلي ، بل التَّوَاتُر واليقين النَّقلي لا يزيد عن إِيجاد العلم واليقين الحسِّي ، ولا يرتقي إلى العلم واليقين العقلي فضلاً عن ما فوقه من العلم واليقين الوحياني.

نعم ، لا غنىٰ عن العلم النَّقلي ـ كما تقدَّم ـ بل لا مجال لإِنكار ضرورته ؛ لأَنَّه مُقَدِّمة لليقين العقلي الواسع بسعة أُفق الوحي [١] ، ومِنْ ثَمَّ لا بُدَّ من الابتداء بالعلم النَّقلي ؛ لتحصيل اليقين الوحياني ، لكن : العلم النَّقلي ـ وهو منهج المبتدئين ـ لا يُقتصر عليه ، بل لا بُدَّ من العروج في بحور معاني بيانات الوحي اللامتناهية ، والتَّدَبُّر العقلي في مضامين النُّقول ومتونها.

---

(١) **ينبغي الالتفات** : أَنَّ العقل البشري وإِنْ كان محدود القدرة بالفعل ، لكنَّه ليس بمحدود بالقوَّة والتَّدريج.

الحُجَج والمُحْكَمَات على مراتب طوليَّة

وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّ لِحُجِّيَّة الخبر مراتب طوليَّة من عدَّة جهات ، أَهمُّها ثلاثة :

الأُوْلَىٰ : حُجِّيَّة المتن.

الثَّانية : صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب.

الثَّالثة : حُجِّيَّة الطَّريق والسَّند.

ثُمَّ إِنَّ أَعظم مراتب الحُجَج هي : (المُحْكَمات)[1] ، وهي على مراتب طوليَّة أَيضاً ، أَعلاها ورأس هرمها : أُمُّهات المُحْكَمات ، ومعناها : المركز والمُحور والمُهيمن.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

---

(١) المراد من المُحْكَمات : القوانين الدستوريَّة المُبَدَّهة.

ثُمَّ إِنَّ مُحْكَمات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة تعني : يقين وحياني.

لكنْ : إِذا دخلت في وعاء المُتلقِّي وكان غير معصومٍ فلا تكون وحياً ولا محكماً ، وحُجِّيَّتها ظنيَّة الدلالة، وإِنْ حصل له القطع واليقين بتلك الدلالة ؛ فإِنَّ هذا القطع واليقين لا يخرج عن حريم الحسِّ ، وهو في عِرضة الخطأ والإِشتباه ، وَمِنْ ثَمَّ تؤول حقيقة هذا القطع واليقين إِلى ظنٍّ ، فالتفت ، وتأَمَّل جيِّداً.

﴿مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (١).

والإِحْكَام المأخوذ في بيان هذه الآية الكريمة وإِنْ كان قد يُفسِّره البعض بإِحْكَام الدلالة ، لكنَّ الحقّ : أَنَّ عظمة إِحْكَام المُحْكَم وعمدته لا تكمن في الدلالة ، وإِنَّما ـ تكمن ـ في جهة المتن والمضمون الحاوي على معلومات ومعادلات علميَّة مُحيطة ومُهيمنة على ما تحتها.

نظيره : العلوم البشريَّة ـ كعلم : الرياضيَّات ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والأَحْيَاء ـ ؛ فإِنَّ فيها معلومات وقواعد ومعادلات علميَّة فوقيَّة، مُحيطة ومُهيمنة على بقيَّة مسائل ومباحث علومها المختصَّة بها ، وتتفرَّع منها تلك المسائل والمباحث وأَبواب العلم.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله عزَّ ذكره : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٢).

---

(١) آل عمران : ٧.

(٢) المائدة : ٤٨.

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ نفس المعلومات والمعادلات العلميَّة والعقليَّة والمعرفيَّة الإلٰهيَّة المُودعة في بيانات القرآن الكريم لها هيمنة وإشرَاف وإحاطة وسَعَة تتخطَّىٰ ما موجود في بقيَّة الكُتُب السَّماويَّة الأُخرىٰ ـ كـ : التوراة ، والإنجيل ـ [١] .

ثُمَّ إنَّ الإحْكَام في عَالَمَ المعاني غير الإحْكَام في عَالَمَ البلاغة والدِّلالة والألفاظ. ويحتاج ـ الإحْكَام في عَالَمَ المعاني ـ إلى علمٍ وافرٍ. وكُلَّما زاد العلم فيه صعد الفهم في تشخيص المُحْكَم.

إذَنْ : القرآن الكريم وإنْ كان جميعه ـ صدوراً وألفاظاً ودلالات ـ نوراً وحُجَّة قطعاً ، لكنَّه مع كلِّ ذلك يُحذِّر الباري عزَّوجلَّ من المساواة بين طبقاته ومراتبه ، وإيَّاكَ أَنْ تأخذ بها بمفردها ، بل بعضها فتْنَوِي وزيغي وهو المُتشابه إنْ اتَّبَعَهُ المخلوق بمفرده وبعقله ، أَمَّا إذا أَخذ به وبالمُحْكَمات تحت رعاية الراسخين في العلم لا بعقله فسيهتدي.

إذَنْ : مع أَنَّ جميع القرآن الكريم عظيمٌ ونورٌ ومُقَدَّسٌ ، ولا

---

(١) معنىٰ كلمة : (التوراة) في اللغة العبريَّة : الشَّريعة.

ومعنىٰ كلمة : (الإنجيل) في اللغة العبريَّة أيضاً : البشارة الملكوتيَّة.

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لكن نفس القرآن الكريم يُشير إِلى أَنَّ نظام المعلومات ونظام المعادلات العلميَّة الموجودة فيه ليس على طبقةٍ واحدةٍ في الأَهميَّة والعظمة ، بل على طبقات.

وعلى هذا قس السُّنَّة الشَّريفة ؛ فإِنَّهما يرتضعان من ثدي واحد، ومن ثَمَّ ورد عن أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم : أَنَّ في أَخبارهم مُحْكَماً ومُتشابهاً، والمُتشابه لا يجوز الأَخذ به إِلَّا تحت رعاية المُحْكَمات.

فلاحظ :

بيان الإمام الرَّضا عليه السلام : «**مَنْ رَدَّ مُتشابه القرآن إِلى مُحْكَمه هُدِيَ إِلى صراطٍ مستقيم، ثُمَّ قال** عليه السلام : **إِنَّ في أَخبارنا مُتشابهًا كمتشابه القرآن ، ومُحْكَماً كمُحْكَمْ القرآن ، فردُّوا متشابهها إِلى مُحْكَمها ، ولا تَتَّبِعُوا متشابهها دون مُحْكَمها فتضلُّوا**»[1] .

حجِّيَّة الخبر

ثُمَّ إِنَّ العمدة عندنا وركن أَركان حُجِّيَّة الخبر ؛ والسُّلَّم الَّذي يُرتقىٰ ويُعرج به في عَالَم المعاني ـ سوآء أَكان ذلك في علم الفروع أَم

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٨٥/ ح٩.

في علوم المعارف الإلٰهيَّة[١] وجملة العلوم الدِّينيَّة والشَّرعيَّة ـ لا يكمن في حُجِّيَّة صدور الخبر وسنده[٢] وإنْ كان متواتراً[٣] ؛ ولا في حُجِّيَّة دلالته وإنْ كانت صريحة وقطعيَّة ـ فإنَّ هذه الحُجَج لا تؤمِّن إلَّا لقلقة الأَلفاظ ، أَمَّا المعاني فلا[٤] ـ وإنَّما يكمن في المتن.

والمراد من حُجِّيَّة المتن ليس حُجِّيَّة الدلالة ، وإنَّما المراد : نفس نظام المعلومات المودعة في متن الخبر ، فيدرس الفقيه أَو الباحث

---

(١) **يجدر الإلتفات** : أَنَّ المعارف والعقائد الإلٰهيَّة حقائق تكوينيَّة من أَكوان وعوالم غيبيَّة صاعدة.

(٢) ضعف الطَّريق واعتباره لا دخالة له في تحصيل البرهان من المتن والمضمون.

(٣) التَّواتر السندي لا ينفع في أَبحاث العقائد ، لأَنَّه يُورث اليقين الحسِّي ، والمطلوب في أَبحاث العقائد تحصيل اليقين العَقلي ، وفيه ـ اليقين العقلي ـ لا يُفرَّق بين الرواية المتواترة والضعيفة سنداً ، لأَنَّ البيان والبرهان العقلي المُستفاد من المتون والمضامين هو المطلوب في هذه الأَبحاث.

ويُضاف إليه : أَنَّ الخبر المُتواتر سنداً قد يكون متنه ظنِّيّ الدلالة فعاد إلى الظَّنِّ ، وهو لا ينفع في أُسس وأُصول العقائد. فالتفت.

ثُمَّ إنَّه يجب على الَّذي ليس له باع عقلي في أَبحاث العقائد ترك أَبحاث هذا الباب ، ولا يلجه ولا يتصدَّىٰ إليه ، وليترك المجال لمن له الأَهليَّة في ذلك.

(٤) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ لقلقة ودغدغة المعاني ـ فضلاً عن الحقائق ـ غير لقلقة ودغدغة الأَلسن. وكذا حفظ المعاني فضلاً عن حفظ الحقائق فإنَّهما غير حفظ الأَصوات.

ذلك المتن والمضمون ـ بغض النَّظر عن الدَّليل ودلالته وصدوره وسنده وجهته ؛ والكتاب الَّذي وَرَدَ فيه المتن والمضمون ـ ويعرضه على مُحْكَمات الكتاب الكريم، ومُحْكَمات السُّنَّة القطعيَّة، ومُحْكَمات وبديهيَّات العقل ، ومُحْكَمات وبديهيَّات الوجدان الَّتي لا يختلف عليها وجدان بشر ، ويوزنه مع منظومة معادلات وقواعد الدِّين والشَّريعة ، فإذا أَورث له ذلك العرض : القطع واليقين بمطابقة هذا المتن والمضمون لتلك المُحْكَمات كانت حُجِّيَّة ذلك المتن وحيانيَّة ذاتيَّة. وهذا هو أَعظم ميزان وضابطة قُرِّرَت في بيانات الوحي لحُجِّيَّة الخبر.

ثُمَّ إِنَّ صحَّة وحُجِّيَّة المتن والمضمون ليست من شأن الرواة بما هم رواة ، وإِنَّما هي من شأن الفقهاء المُتضلِّعين في فقه الفروع ، وفي علم الكلام، وعلم العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة ، وعلم الأَخلاق والآداب[1] والنظام الرُّوحي والأَخلاقي والآدابي الدِّيني ، وعلم

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ الأَدب والخُلق وجهان لحقيقة واحدة ، غاية الأَمر : أَنَّ الخُلق هيئة نفسانيَّة ، والأَدب هيئة بدنيَّة ، وبينهما ترابط ؛ فالأَدَب الصَّالح هيئة بدنيَّة نابعة من الخُلق الصَّالح ، والأَدب الطَّالح هيئة بدنيَّة أَيضاً ، لكنَّها نابعة من الخُلق الطَّالح. ←

التَّفسير ، وعلم السِّيَر، وغيرها. بخلاف صحَّة السَّنَد وحُجِّيَّته ؛ فإنَّه يمكن معرفتها من قِبَلِ عامَّة النَّاس ، وتدور مدار الحافظة ، كما أَشارت إلى ذلك بيانات الوحي ، أَمَّا حُجِّيَّة المتن والمضمون فتحتاج إلى حصول مطابقة ـ المتن والمضمون ـ لأُصول وقواعد الشرع والدِّين ، وهذه ليست من إختصاص إلَّا الفقيه المُتضلِّع في شَتَّىٰ العلوم الشرعيَّة والدِّينيَّة ؛ فصحَّة المتن والمضمون لا تدور مدار فقاهة الفقيه فحسب ، بل وتضلُّعه في كافَّة العلوم الشَّرعيَّة والدِّينيَّة.

إِذَنْ : صحَّة المتن والمضمون تتطلّب فقاهة وتضلُّع الفقيه بذلك العلم الَّذي يختصُّ به ذلك المتن والمضمون ، فلو لم يكن للفقيه باعٌ بالعلم الَّذي يختصُّ به المتن والمضمون فَمِنْ أَين يعرف

← **إِذَنْ** : الفارق بين الآداب والأَخلاق : أَنَّ الأَخلاق هي : الصِّفات والهيئات النَّفسانيَّة ، أَمَّا الآداب فهي : الهيئات البارزة على السلوك العملي الجارحي ، وهي انعكاسات عن تلك الصِّفات والهيئات النفسانيَّة ؛ فهي هيئات عارضة على الأَعمال الجوارحيَّة منبعثة عن الصِّفات والهيئات النَّفسانيَّة.

وبالجملة : الآداب أُمور محسوسة تُرىٰ بالعين المُجرَّدة ؛ كآداب لمائدة والحَمَّام وما شاكلها ، بخلاف الأَخلاق ؛ فإنَّها لا تُرىٰ ولا تُلمس باليد.

والأَدب إِنْ كان سيئاً يكشف عن خُلقٍ سيء ، والخلق السيء يكشف عن نقصٍ في المعرفة على أَقلِّ تقدير.

صحَّة وحُجِّيَّة ذلك المتن والمضمون وعدمها.

وهذا بحث تصوِّري وتصديقي لا يتوقَّف على حُجِّيَّة صدور الخبر وسنده.

وهذه القضيَّة ـ أَي : التعامل مع حُجِّيَّة المتن وعرضه على مُحْكَمَات الشَّرع والدِّين ـ ليست خاصَّة بمدرسة الإِماميَّة ، بل شاملة لكافَّة مدارس ومذاهب المسلمين.

هذا هو المذهب والمنهج العلمي لمشهور طبقات الفقهاء ، ومشهور علماء مدرسة الإِماميَّة ، بل ومدارس العامَّة ، كما نقل ذلك الشَّيخ الأَنصاري في رسائله، ومن أُولئكَ الفقهاء والعلماء : الشَّيخ المفيد ، والسيِّد المرتضىٰ ، وابن البرَّاج ، والحلبيُّون ، والكشي ، وابن الغضائري ـ الابن ـ ، والنجاشي ، وابن إدريس ، وابن زهرة ، والمُحقِّق الحلِّي ، بل والشَّيخ الطُّوسي وإِنْ اختلف مبناه قليلاً.

ويُعبَّر عن هذا المنهج بـ : (دراسة المتن ومحوريَّة المُحْكَمَات).

لكنَّه منهج مهجور ومُغَيَّب في العصر الراهن.

وقد أَطلق الشَّيخ المفيد والمُحقِّق الحلِّي عنوان الحشويَّة والقشريَّة على مَنْ يجعل السند والطَّريق الرُّكن الرَّكين في حُجِّيَّة

الخبر ، لكن هذا لا يعني أَنَّه لا دور للسند والطَّريق في حُجِّيَّة الخبر ، بل له دور لكنَّه ليس هو الرُّكن الرَّكين ، ولا يؤمِّن إِلَّا لقلقة الأَلفاظ، أَمَّا المعاني فالَّذي يُؤمِّنها ويُؤمِّن الإِنطلاق إِلى العمق هو المتن بتوسُّط أَلفاظ الوحي.

ولك أَنْ تقول : إِنَّ الإِقتصار على النقل منهج المبتدِئين ، وطمع الباحث عن الحقيقة لا يكون إِلَّا في الفهم العقلي بالنَّقل ، والعلم العقلي المُنظَّم للنَّقل ، ولا يتمُّ إِلَّا من خلال البرهان والعلم والنُّور المُستفاد من الإِشارات الإِرشاديَّة للمُقدِّمات العلميَّة اليقينيَّة الموجودة في متون بيانات الوحي الإِلٰهيّ الطَّاهرة الباهرة.

ضرورة التَّمسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في أَعماقها اللامتناهيَّة

قاعدة التَّوقيفيَّة شاملة لكافَّة المعارف الإلهيَّة

معنى قاعدة التَّوقيفيَّة : التَّمسُّك بأَلفاظ الوحي والغور في بحور معانيها

وهناك توصية وردت في بيانات أَهل البيت عليهم السلام المعرفيَّة ، حاصلها : أَنَّ الباحث والمُستنبط إِذا أَراد الاستعصام والتَّخَلُّص من الضَّلال والزيغ والإِنحراف فعليه نشب أَظفاره والتَّمَسُّك بكُلِّ ما أُوتي من قوَّة بأَلفاظ وعناوين وقوالب بيانات الوحي ، وإِلَّا ـ أَي : إِذا استبدل أَلفاظ وعناوين وقوالب بيانات الوحي بألفاظ وعناوين ومصطلحات وقوالب البشر ـ كان في معرض الإِرتطام في الضَّلال والزَّيغ والإِنحراف.

وهذا أَحد معاني ما ورد عنهم صلوات اللّٰـه عليهم ؛ عن الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **فواللّٰـه لنحبّكم أَنْ تقولوا إِذا قُلْنا ، وتصمتوا إِذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين اللّٰـه**»(١) .

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ٩٥/ح٣٧.

فإنَّه شامل بإطلاقه ـ إضافة إلى معاني بيانات الوحي شامل أيضاً ـ لألفاظها.

إذَنْ : حُجِّيَّة المتن المُنطلِقة من ألفاظ بيانات الوحي هي الأساس. **ومعناه** : أنَّ قاعدة التوقيفيَّة والتَّوقيتيَّة لا تختصُّ بباب الأسماء والصِّفات الإلٰهيَّة ، بل تشمل كافَّة المعارف الإلٰهيَّة . **لكن** : ليس معنىٰ هذه القاعدة الجمود على ألفاظ بيانات الوحي ؛ فإنَّ ذلك حشويَّة وقشريَّة أيضاً ، **وإنَّما معناها** : التَّمسُّك بالقوالب الوحيانيَّة والغور في بحور معانيها المُتلاطمة الطمطامة اللامتناهية ، وهنا تكمن الصعوبة ، وتظهر حذاقة الفقيه المُتضَلِّع، وقوَّة فقاهته.

خلاصة ما تقدَّم

والخلاصة : أنَّ حُجِّيَّة الخبر عند جلَّ العلماء مُترتِّبة طولاً في مقام الإستنباط وبالشَّكل التَّالي : أوَّلاً : حُجِّيَّة المتن والمضمون ، ثُمَّ صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب [١] ، ثُمَّ حُجِّيَّة الطَّريق والسند.

---

(١) سيأتي (إنْ شاء اللّٰه تعالىٰ) في ختام هذه القضيَّة التَّعَرُّض إلى هذه الحُجِّيَّة والجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صِحَّة و حُجِّيَّة الكتاب ؛ فانتظر هُنيئة.
ونكتة التَّأخير : كيما لا يحصل تشتيت وتشويش في المطلب.

وهذه حُجَجٌ طوليَّة ، فإذا حصل للفقيه المُتضلِّع : القطع واليقين بمطابقة متن الخبر ومضمونه لمُحْكَمات الدِّين والشَّريعة أُخذ به وإنْ كان ذلك ـ المتن ـ وارداً بخبر ضعيف السند ؛ وذلك للقطع بمطابقة متنه ومضمونه لمُحْكَمات الدِّين والشَّريعة ، وتكون حُجِّيَّته حينئذٍ ذاتية وحيانيَّة ، وهي مُقدَّمة على كافَّة الحُجَج ، نعم إذا لم يحصل القطع واليقين لدىٰ الفقيه المُتضَلِّع بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمات الدِّين والشَّريعة انتقل إلى المرتبة الثّانية من مراتب حُجِّيَّة الخبر ، وهي : صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب الوارد فيه ذلك الخبر ، فإنْ كان ـ ذلك الخبر ـ وارداً في كتابٍ صحيح وحُجَّة ـ كـ : كتاب الكافي ـ أَخذ به وأَفتىٰ على وفقه ، وإلَّا ـ أي : إذا لم يكن الكتاب صحيحاً و حُجَّة ـ انتقل ـ الفقيه ـ إلى المرتبة الثالثة من مراتب حُجِّيَّة الخبر ، وهي حُجِّيَّة سنده ، فإنْ كان مُعتبراً سنداً أَخذ به وأَفتىٰ على وفقه في فقه الفروع وفي أَبواب المعارف وتفاصيل العقائد ، وإلَّا ـ أي : إنْ لم يكن مُعتبراً سنداً أَيضاً ـ سقط عن الحُجِّيَّة والإعتبار ، وأَعرض عنه ـ هذا إنْ لم تكن هناك حُجَجٌ طوليَّةٌ أُخرىٰ يتبنَّاها الفقيه كـ : (حُجِّيَّة عمل الطائفة) ـ نعم ، يُمكن الأَخذ به على نحو المؤيِّد والمُنبِّه على برهانٍ في دليلٍ آخر.

لكن : عكس المعاصرين هذه الحُجَج ، بل جعلوا المجموع في عرضٍ واحدٍ ، بل حصروها في حُجِّيَّة الطَّريق والسند ، وغرابة حصر منهج وطريق المعرفة والإستنباط بالظَّنِّ التَّعَبُّدي والتواتر الحسِّي واضحة ؛ فإِنَّ الظَّنَّ التَّعَبُّدي النقلي ، بل والتواتر واليقين النقلي لا يزيد عن دائرة إِيجاد العلم واليقين الحسِّي ، ولا يرتقي إِلى العلم واليقين العقلي فضلاً عمَّا فوقه من العلم واليقين الوحياني.

نعم ، لا غنىٰ عن العلم النقلي ، بل لا مجال لإِنكار ضرورته ، لأَنَّه مُقدِّمة لليقين العقلي ولليقين الوحياني الواسع بِسَعَة أُفق الوحي ، ومن ثَمَّ لابُدَّ من الإِبتداء بالعلم النقلي ؛ لتحصيل اليقين العقلي والوحياني ، لكن : العِلم النَّقلي ـ وهو منهج المبتدئين ـ لا يُقتصَر عليه ، وإِنَّما لا بُدَّ من الغور في أَعماق بحور معاني وحقائق بيانات الوحي اللامتناهية ، من خلال التَّدبُّر والتَّأَمُّل العقلي في متون النقول ومضامينها.

إِشكال وجواب

ومنه يتَّضح : حَلّ إِشكال البعض على الشَّيخ الأَنصاري وغيره ممَّن يقول في بحث أُصول الفقه بـ : أَنَّ الخبر حتَّىٰ يصحُّ

الأَخذ به في مقام الاستنباط لابُدَّ أَنْ يكون مُعتبراً شرعاً ، لكنَّه في بحث الفقه والتَّوصُّل إِلى النتائج يغفل أَو يتغافل عن هذه القضيّة الَّتي حرَّرها في بحث أُصول الفقه، ويأخذ بالخبر ويُرتِّب عليه الآثار الفقهيَّة وإِنْ كان ضعيفاً سنداً ، فَمَا عدا مِمَّا بدا.

والجواب : أَنَّ الشَّيخ الأَنصاري وإِنْ كان يقول باعتبار حُجِّيَّة سند الخبر ، لكنَّ مبناه ـ كمبنىٰ استاذه صاحب الجواهر وغيره هو ـ مبنىٰ مشهور المُتقدِّمين القائلين بهذه الحُجَج الطوليَّة ، فإِنَّه وإِنْ قرَّر الفقيه في بحث الأُصول : أَنَّ الخبر لا يصحُّ الأَخذ به إِلَّا إِذا كان مُعتبراً سنداً ، لكنَّه في بحث الفقه ومقام الاستنباط أَوَّل ما يُلاحظ الفقيه من المُتقدِّمين المتن والمضمون ، ويعرضه على مُحْكَمَات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإِذا أَورث له ذلك العرض القطع واليقين بمطابقة ذلك المتن والمضمون لمُحْكَمَات الثقلين كانت حُجِّيَّة ذاتيَّة إِمَّا عقليَّة أَو وحيانيَّة ، ووجب الأَخذ به وترتيب الآثار الشَّرعيَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة عليه وإِن كان ضعيفاً وغير مُعتبرٍ سنداً ؛ لأَنَّ حُجِّيَّة واعتبار سند الخبر تأتي في مرتبة مُتأخِّرة طوليَّة ثالثة؛ لم تصل إِليها حاجة الفقيه بحسب الفرض. نعم ، إِذا لم يحصل له القطع واليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمَات الثقلين التجأ إِلى

الجهة التالية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ، فإِنْ كان وارداً في كتابٍ صحيحٍ ومعتبرٍ عند الإِماميَّة ـ كـ : كتاب الكافي ـ أَخذ به ، وإِلَّا صار أَمر الفقيه إِلى الجهة الثالثة من جهات الحُجِّيَّة ، وهي حُجِّيَّة السند، فإِنْ كان مُعتبراً بحسب مبانيه الرجاليَّة أَخذ به ، وإِلَّا فلا. هذا إِنْ لم يَقُل بغير هذه الحُجَج الثلاث ؛ كحُجِّيَّة: (عمل الطائفة) ، وإِلَّا التجأ إِليها ؛ وصحَّح الخبر على وفقها إِنْ أَمكن.

المراد من الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة

مراد الفقهاء من صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب

إِنَّ أَحد معاني صحَّة الكتاب واعتباره ليس ما توهَّمه الإِخباريون وبنىٰ عليه السيِّد الخوئي في كامل الزيارات وتفسير القُمِّيّ ، بل وبنىٰ عليه أستاذه الميرزا النائيني في حقِّ كتاب الكافي تبعاً لأُستاذه الميرزا النوري ؛ وأَنَّ كُلَّ ما موجود فيه قطعي الصدور أَو ظَنِّي الصدور بالظَّنِّ المُعتبر ، فإِنَّ هذه صحَّة مُحدِّثين ، وليست صحَّة فقهاء ؛ وإِنَّما المراد من صحَّة الفقهاء : ما ذكره الشَّيخ الكليني في أَوَّل الكافي ، وما ذكره الصدوق في أَوَّل الفقيه ، وما ذكره محمَّد ابن الحسن الأَشعري في كفاية الأَثر ، وما ذكره الشَّيخ الطوسي في

أَوَّل التَّهذيب ، وهو : أَنَّ مُصَنِّف الكتاب يتعهَّد بجميع ما وضعه في كتابه من روايات ـ بقطع النظر عن صدورها وسندها ـ أَنَّ متونها ومضامينها لا تُناقض ولا تُخالِف ضرورة من ضروريَّات الدِّين والكتاب والسُّنَّة ، ولا تُخالِف مُحْكَماتها، وهذه الصحَّة أَعظم فقاهة من مسلك صحَّة الطريق ؛ فإِنَّه مسلك حشوي ؛ إِذْ الإِقتصار على صحَّة الطريق من دون النظر إِلى متن ومضمون الرواية ـ كما يقول الشَّيخ المفيد والمُحقِّق الحلِّي ـ حشويَّة وقشريَّة ليست للفقهاء مسلكاً ، فإِنَّ مسلكهم يعتمد على فهم المتون والمضامين : فهل هي مناقضة ومخالفة لضروريَّات ومُحْكَمات الدِّين والشَّريعة ، أَو أَنَّها مطابقة ولم تخالف القوانين الدستوريَّة العقائديَّة والمعرفيَّة في الدِّين ؛ أَو القوانين الدستوريَّة الثابتة في الفقه.

نُكتة تقدُّم الجهة الأُولى والثانية على الثالثة :

وصارت حُجِّيَّة المتن والمضمون مُقدَّمة على حُجِّيَّة السند ؛ وذلك لأَنَّ حُجِّيَّة المتن والمضمون تتمُّ من خلال عرض المتن والمضمون على مُحْكَمات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإِذا أَورث ذلك العرض للفقيه القطع واليقين بمطابقته لتلك المُحْكَمات

كانت هذه الجهة ـ أَي : الجهة الأُولىٰ والثانية ـ من جهات الحُجِّيَّة مُقدَّمة على الجهة الثالثة وهي حُجِّيَّة السند وإِنْ كان الخبر متواتراً سنداً ؛ لأَنَّ هذا العرض إِنْ ولَّد للفقيه أَو لمُصنِّف الكتاب ـ كالكليني ـ القطع واليقين بمطابقة الخبر لمُحْكَمات الثقلين كانت حُجِّيَّة ذلك اليقين ـ لدىٰ الفقيه أَو المُصنِّف ـ ذاتيَّة عقليَّة أَو وحيانيَّة، وهي مُقدَّمة على حُجِّيَّة اليقين الحسِّي المستفاد من التواتر السندي فضلاً عن حُجِّيَّة الظن المُعتبر ؛ لأَنَّ التواتر السندي فضلاً عن الظَّنِّ السندي المُعتبر لا يُؤمِّن اليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمات الثقلين ، وإِلَّا كانت حُجِّيَّة الخبر ذاتيَّة ـ وحيانيَّة أَكانت أَم عقليَّة ـ ومن الجهة الأُولىٰ أَو الثانية.

وتأَخَّرت الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة عن الجهة الأُولىٰ ؛ وذلك لأَنَّ الَّذي يقوم بعمليَّة عرض المتن والمضمون في الجهة الأُولىٰ نفس الفقيه المُتصدِّي لعمليَّة الإِستنباط وتحصيل النتائج ، بخلاف الجهة الثَّانية من جهات الحُجِّيَّة ؛ فإِنَّ الَّذي يتصدَّىٰ لهذا العرض مُصنِّف الكتاب كالكليني، وهو بحسب الفرض من ثِقات وكُبَّار علماء الإِماميَّة ، فاعتمدت هذه الجهة على خبر الثقة.

وتقدَّمت الجهة الثانية على الثالثة مع أَنَّ المُعتَمَد عليه في كليهما

خبر الثقة ؛ بل في الثالثة قد يُعتَمَد على التواتر الحسِّي ؛ وذلك : أَنَّ مُصنِّف الكتاب ناظر إِلى متن ومضمون الخبر ـ كما تقدَّم ـ ؛ وأَنَّه مقطوع بمطابقته لمُحْكَمَات الثقلين ، بخلافه في الجهة الثالثة ؛ فإِنَّ النظر يكون إِلى السند بقطع النظر عن مطابقة مضمون الخبر للمُحْكَمَات وعدمها.

وبالجملة : دراسة متون الأَحاديث ومضامينها أَعظم : دراسة علميَّة صناعيَّة اجتهاديَّة ، بل بها تُقام دراسة الأَسانيد والطرق لا العكس. وهذا أَمرٌ مهمٌّ ، ومن ثَمَّ من يكون لديه باع في علوم المعارف يتمكَّن من تشخيص عن بصيرةٍ واجتهادٍ المنحرف من الرواة من غيره ، وذلك من خلال مطابقة مضامين ما ينقله مع مُحْكَمَات الثقلين وعدمها. ومن ثَمَّ كان مبنىٰ النجاشي والغضائري المُتشدِّد : أَنَّ صحَّة الكتاب المرتبطة بالمضمون أَعظم من صحَّة الطَّريق ، وهذا يتَّضح من خلال مراجعة جرحهما وتعديلهما.

وهذه الأُمور لابُدَّ للباحث أَنْ يجدها بنفسه ، فعليه التتبُّع والتنقيب والإِجتهاد عن دراية وبصيرة ، فَمَنْ كان يُريد مراجعة كتاب النجاشي ـ مثلاً ـ فعليه أَنْ لا يُلاحظ النتائج الصَّادرة من مُصنِّفه من جرح وتعديل وما شاكلها ؛ لأَنَّ الأَخذ بها تقليد له ،

وإِنَّما عليه قراءة النظام والصرح العلمي في مبناه ومساره العلمي ، وحينئذٍ تكون ـ تلك المراجعة ـ مراجعة علميَّة نافعة. وعلى هذا قس العمل مع كتاب الفهرست للشَّيخ الطوسي ، وكتاب رجال : (البرقي) ، و (العقيقي) ، و (ابن الغضائري) ؛ لمعرفة مبانيهم ومساراتهم العلميَّة ، وليست آرائهم وفتاويهم النهائيَّة.

إِذَنْ : علم الرجال علم مضامين ، وليس علم نقول.

وبالجملة : ليس مراد الكليني في الكافي ولا ابن قولويه في كامل الزيارات ولا الأَشعري في كفاية الأَثر ، ولا الصدوق في الفقيه ولا الطوسي في التهذيب من صحَّة الكتاب صحَّة الصدور ـ فإِنَّ بعض رواياتهم في تلك الكُتُب مراسيل ومقطوعات ومرفوعات ـ ، وإِنَّما مرادهم : صحَّة وحُجِّيَّة المتن والمضمون، وأَنَّه ليس في روايات تلك الكُتُب ما يُناقض أَو يُخالف ضروريَّات ومُحْكَمَات الدِّين والشَّريعة. فحينما يروي ـ مثلاً ـ الكليني والصدوق، عن أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه : «... **إِنَّ نور أَبي يوم القيامة يُطفئ أَنوار الخلائق إِلَّا خمسة أَنوار : نور مُحَمَّد** ﷺ **ونوري**[1] **ونور الحسن والحسين ، ونور تسعة من ولد الحسين ؛**

---

(١) في رواية الشَّيخ بعد قوله : «ونوري» «ونور فاطمة». وعلى هذا فالخمسة إِمَّا مبنيّ على اتِّحاد نورَي مُحَمَّد وعَلِيّ صلوات اللّٰـه عليهما ، أَو اتِّحاد نورَي الحسنين عليهما السلام ؛ بقرينة عدم ←

فإنَّ نوره من نورنا الَّذي خلقه اللّـه تعالىٰ قبل أَنْ يخلق آدم بألفي عام» [١] ، فإنَّ مُرادهما : أَنَّ مضمون هذا الحديث ـ بغض النظر عن اعتبار سنده وصحَّة صدوره ـ لا يتصادم ولا يخالف مُحْكَمات الدِّين والشَّريعة والكتاب والسُّنَّة ويوافق خطوطها العامَّة.

إِذَنْ : منهج ومسلك الفقهاء في المقام يختلف عن منهج ومسلك المُحدِّثين ، ومن ثَمَّ الَّذي يرفع علامة صحَّة الصدور من دون أَنْ يهتم بالمضمون فمنهجه ومسلكه ليس منهج ومسلك فقهاء الإِماميَّة ، وإِنَّما منهج ومسلك المُحدِّثين.

ومنه يتَّضح : أَنَّ زعماء اتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام كالكليني والصدوق والمفيد والمرتضىٰ والطوسي حينما يودعون كُتُبهم روايات عن أَفراد أَصحاب الدائرة الإِصطِفائيَّة الثانية لأَهل البيت عليهم السلام فهذا يُدلِّل على أَنَّهم يفهمون : أَنَّ لأَصحاب هذه الدائرة شأن كبير ، وعلاوة في الإِصطِفاء.

← توسُّط النور في البين ، ويُحتمل أَنْ يكون قوله : «ونور تسعة» معطوفاً على الخمسة. (بحار الأَنوار).

(١) بحار الأَنوار ، ٣٥: ٦٩/ ح٣. أَمالي الشَّيخ : ١٩٢. الإِحتجاج : ١٢٢.

أَدلَّة تراتب الحُجَج الثلاث

وتشير إلى ترتُّب وتراتب هذه المراحل وجهات الحُجِّيَّة الثلاث بيانات الوحي الوافرة ، منها :

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (١) (٢) .

---

(١) الجمعة : ٢.

(٢) **يجدر الإلتفات** :أَنَّه يجب على مَنْ يُريد استيضاح بيانات أَهل البيت عليهم السلام المُفسِّرة لآية من آيات القرآن الكريم فلا يخدعنَّه الفحص بمراجعة تفسير أَو تفسيرين ، بل عليه التَّيقُّظ والتَّفطُّن إلى موارد وجود هذه الآية بأَلفاظها أَو بما يُقارب أَلفاظها ومعانيها في بيانات الوحي الأُخرىٰ ، وعليه أَيضاً أَنْ لا يُراجع مصدراً واحداً من مصادر التَّفسير ، بل عِدَّة مصادر.

وبالجملة : باب الفحص والتَّنقيب العلمي باب واسع وشاسع جِدّاً ، ومن ثَمَّ لا ينخدع الباحث بدرجةٍ من الفحص والتنقيب ، ولا بدرجةٍ من التَّفكير والتَّأَمُّل ، وإِذا ظَنَّ أَن ما توصَّل إِليه هو الذروة ورأس الهرم فليعلم أَنَّه أَرتطم بغفلة شنيعة وجهالة كبيرة ؛ فإِنَّ ما توصَّل إِليه بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة لا بُدَّ أَنْ يكون متناهياً ومحدوداً ، ومعاني وحقائق بيانات الوحي لا متناهية ولا محدودة أَبداً بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة أَيضاً ، ولا توجد نِسبة رياضيَّة بين المحدود واللامحدود ؛ فإِنَّه دائماً إِذا قيس المحدود إِلى اللامحدود كان لا شيء وصفراً على جهة الشِّمال ، وإِلَّا لانقلبت ماهيَّة اللامحدود وكانت متناهية ، وبطلان انقلاب الماهيَّة من الواضحات ، بل هو خُلف الفرض.

فـ : (التلاوة) ـ المُشار إليها في بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ ـ : إشارة إلى العلم النَّقلي الحسِّي ، وهو مُقدِّمة.

وضرورة (التَّعَلُّم) ـ الـمُشار إليها في بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ (١) ـ: إشارة إلى الفهم العقلي لموارد الوحي ؛ لتحصيل العلم واليقين والبرهان الوحياني ، وهو ذو المُقدِّمة والغاية الأَسْمَىٰ، الَّذي هو فحوىٰ مفاد المُعجزة.

فانظر :

بيان قوله عزَّ قوله : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٢) (٣) .

ودلالته واضحة على أَنَّ المعاجز ـ كمعجزة القرآن الكريم ،

---

(١) الطريقة التعليميَّة السَّارية عليها بيانات الوحي في إيصال المعلومة للطرف هي : التَّدرُّج في التَّعليم وعلى مراحل.

(٢) القصص : ٣١ ـ ٣٢.

(٣) **لا بأس بالإلتفات** : أَنَّه لا توجد لقطة في القرآن الكريم إلَّا وتصبّ في ذكر اللّـه تقدَّس ذكره وخشيته وخشوعه.

وهي الأَعظم ـ ، بل والكرامات الإِلٰهيَّة تُورِث لِـمَنْ تأَثَّر بها : العلم واليقين والبرهان الوحياني.

وبالجملة : أَحد تعاريف المُعجزة : أَنَّها عبارة عن بزوغ وبروز لمعان أَشعَّة أَنوار غيبيَّة مهولة ؛ إِمَّا في القُدرة ، أَو في آيةِ كمالٍ غيبيٍّ رهيبٍ ، تنتشل بسرعة مَنْ يرىٰ من خلالها لمعان أَنوارِ غيبٍ عظيمةٍ، ومن ثَمَّ تحصل له حالة إِخبات دفعيّ قهريّ ، تتضعضع له أَعماق ذاته وكافَّة قواه ؛ فيسجد لباعثها تذلُّلاً ، كما حصل ذلك لسحرة بني إِسرائيل.

فانظر :

بيان قوله تعالىٰ : ﴿**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ**

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وهذه نفس فائدة البرهان ؛ فإنَّه يُخرج الطرف من ساحة الفكر إلى تجلِّيات في الفطرة ، فإذا شاهد العظمة خبت.

إذَنْ : المعجزة الإلٰهيَّة خطاب إلهيّ مباشر ؛ ومن دون واسطة من اللّـه عزَّوجلَّ مع خلقه.

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢) (٣).

---

(١) الشعراء : ٤١ ـ ٥١.

(٢) التوبة : ١٢٢.

(٣) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ القرآن الكريم هو : دستور اللّـه الخالد ، لكنَّ دستوريَّته وخلوده ومُؤدَّاه وفائدته وخطره وعلومه وعقائده ومعارفه لا تختصُّ في هذه النَّشأة الأَرضيَّة ، ولا يُخاطب به الجنّ والإنس فحسب ، بل شاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات ؛ لأَنَّه من الدِّين ، وهو شامل للجميع ، ومِنْ ثَمَّ خطاباته الواردة بلسان : «يا أَيُّها الَّذين آمنوا» شاملةٌ لكافَّة المؤمنين ، منهم : جملة الملائكة عليهم السلام ، فلذا ورد في بيانات الوحي : «أَنَّ الملائكة ، ←

فـ : (النفر) : إِشارة إِلى مرحلة الرُّواية ؛ والنقل الحسِّيّ ؛ وهو مُقدِّمة.

و (التَّفقُّه) ـ المُشار إِليه في بيان قوله جلَّ قوله : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ ـ وهو: الفهم[1] : إِشارة إِلى الفهم العقلي لمضامين متون بيانات الوحي في المرحلة الثانية ، وهو: ذو المُقدِّمة ؛ والغاية الأَسْمَىٰ ؛ المُشار إِليها بلام الغاية : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾[2] .

→ منهم المُقَرَّبين ـ كـ : جبرئيل وإِسرافيل وميكائيل عليهم السلام ـ حينما ينزل وحي القرآن الكريم على سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله يتعلَّمون منه صلى الله عليه وآله ذلك القرآن المُنَزَّل».

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ (الفهم) : أَمرٌ غيبيٌّ ، صادر من عوالم غيبيَّة صاعدة ، تتحكَّم فيها طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، ومرتبتها فوق عَالَم الآخرة الأَبديَّة ، وهي فوق عَالَم السَّماوات السَّبع بعوالم ومراتب ، والكلُّ من عوالم الأَجسام.

(٢) يجدر الإِلتفات في المقام إِلى الأُمور الأَربعة التَّالية :

الأَوَّل : أَنَّ المعرفة الإِلٰهيَّة ناموس مُقدَّس ، والسعي إِليها ناموس مُقَدَّس أَيضاً يقضُّ مضجع فِطَر المخلوقات.

الثَّاني : أَنَّ أَعظم نِعَم اللّٰه الواردة في بيان قوله تعالٰى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] النعم المعرفيَّة والمعنويَّة ، وليست البدنيَّة.

الثَّالث : أَنَّ أخطر قلعة يغير عليها العدو : قلعة الفكر والرؤية العقائديَّة ؛ فإِنَّ أَمكنه زحزحة المخلوق عن الورع في العقيدة فسوف يتنجَّس باطنه وظاهره بكُلِّ نجاسةٍ ورجاسةٍ. ثُمَّ إِنَّ أَطهر الطهارات في التَّعَقُّل. ←

٣ـ بيان قوله جلَّ جلاله : ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (١) .

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإِنَّه مع عدم تماميَّة السَّند ونسبة الصُّدور ـ إِذ بحسب ما فرضه بيان الآية الكريمة أَنَّه خبر فاسق ـ ، ومع عدم صحَّة طرحه ، أَو الأَخذ به بعناية هناك مسلك ثالث أَوصىٰ به بيان الآية الكريمة وأَوجبه ، وهو : (فحص المتن والمضمون ، والتَّبيُّن منه).

وهذه التَّوصية الوحيانيَّة دالَّة على أَنَّ الأَساس والعُمدة والرُّكن الرَّكين في حُجِّيَّة الخبر والأَخذ والعمل به هو : (تبيُّن المتن والمضمون).

نعم ، السَّند المُعتبر معاضد لحُجِّيَّة الخبر ، لكنَّ الرُّكن الرَّكين والعُمدة فيها هو : (حُجِّيَّة المتن والمضمون).

٤ـ بيان قوله جلَّ وعلا : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

← **الرابع** : أَنَّ التكليف في العوالم اللاحقة لا ينقطع ، بل يزداد ويشتدُّ ، وهو شامل لكافَّة المخلوقات.

(١) الحجرات : ٦.

﴿الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ مضمونه نفس مضمون بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «**خُذِ الحِكْمَة مِمَّن أَتاك بها ، وانظر إِلى ما قال ، ولا تنظر إِلى مَنْ قال**» (٢) ؛ فإنَّ الأَساس ينبغي أَنْ يكون النَّظر إِلى المتن والمضمون.

٥ـ بيان قوله علا ذكره : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ (٣).

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ أَيضاً على أَنَّ المركز وقطب مرجعيَّة الفقيه والباحث والمُستنبِط وطالب الحقيقة ينبغي أَنْ يكون نظره إِلى المتن والمضمون ؛ فإنَّ المُحكمات صارت كذلك ليس من جهة سندها وصدورها، وإِنَّما من جهة متنها ومضمونها.

---

(١) الزمر : ١٧ ـ ١٨.

(٢) غرر الحكم ، ١ : ٣٩٤. ميزان الحكمة ، ٦ : ٤٨٥. كنزل العمَّال / ٤٢٢١٨.

(٣) آل عمران : ٧.

وهذا البيان الوحيانيُّ من البيانات والبراهين القرآنيَّة العظيمة المُبيِّنة لهذا المنهج المعرفيّ الخطير والدالَّة عليه.

٦ـ بيان خطبة سيِّد الأَنبياء ﷺ : «**نضّر اللّـه ، عبداً سمع مقالتي فوعاها ؛ وبلّغها مَنْ لم يسمعها ، فكم من حامل فقه غير فقيه، وكم من حامل فقه إِلى من هو أَفقه منه ...**» (١) .

٧ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**همَّة السفهاء الرواية ، وهمَّة العلماء الدراية**» (٢) .

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ؛ فإِنَّ المراد من عنوان : (السُّفهاء) المأخوذ في هذا البيان الإِلٰهيّ الشَّريف : مَنْ يتعامل مع بيانات الوحي بسطحيَّة وعدم رشد ، وعدم غور ، فيقتصر على صدور الرُّواية وأَلفاظها.

٨ ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**عليكم بالدرايات لا بالروايات**» (٣) .

٩ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**اعقلوا الخبر إِذا سمعتموه عقل رعاية لا**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٤٨/ ح٢٢.

(٢) المصدر نفسه : ١٦٠/ ح١٣.

(٣) المصدر نفسه / ح١٢.

عقل رواية ؛ فإنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل» (١) .

١٠ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **وتركَكَ حديثاً لم تروه خير من روايتكَ حديثاً لم تحصه ، إِنَّ على كُلِّ حَقٍّ حقيقة ، وعلى كُلِّ صوابٍ نوراً ، فما وافق كتاب اللّٰـه فخذوا به وما خالف كتاب اللّٰـه فدعوه»** (٢) .

١١ـ بيان الإِمام الباقر مُخاطباً ولده الإِمام الصَّادق عليهما السلام : « **يا بُنَيَّ ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ؛ فإنَّ المعرفة هي الدراية للرُّواية ، وبالدرايات للرُّوايات يعلو المؤمن إِلى أَقصى درجات الإِيمان ، إِنِّي نظرتُ في كتابٍ لِعَلِيٍّ عليه السلام فوجدتُ في الكتاب : أَنَّ قيمة كُلّ امرئٍ وقدره معرفته ، إِنَّ اللّٰـه تبارك وتعالىٰ يُحاسب النَّاس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدُّنيا»** (٣) .

١٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**رواة الكتاب كثير ، ورعاته قليل ، فكم من مستنصحٍ للحديث مستغش للكتاب ، والعلماءُ**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٦١/ ح٢١.

(٢) المصدر نفسه : ١٦٥/ ح٢٥.

(٣) المصدر نفسه : ١٨٤/ ح٤.

تحزنهم الدراية ، والجهَّال تحزنهم الرواية» [١] .

١٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**حديث تدريه خير من أَلفٍ ترويه ، ولا يكون الرَّجُل منكم فقيهاً حتَّىٰ يعرف معاريض كلامنا ...**» [٢] .

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة على ضرورة الدراية بمتن ومضمون الرُّواية ، وعدم صحَّة واعتبار وحُجِّيَّة منهج الإِقتصار على مُجَرَّد الرُّواية.

عصارة ما تقدَّم

والخلاصة : أَنَّ الأَصل في لغة أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ومعادلاتها وقوانينها هي : (اللغة العقليَّة) ، فالمُخَاطَب الأَصل والتِّلميذ الأَوَّل للمُعَلِّم الإِلٰهي هو : (العقل) ، وليس الإِنسان بقوَّة بدنه ، أَو بغرائزه ، أَو بِقُوَّة حِسِّه ، أَو بِقُوَّة خياله، أَو بِقُوَّةِ نفسه ، وإِنَّما بقواه الصَّاعدة كالعقل.

ولا قوامة للتَّعليم والعلم إِلَّا بِمُعَلِّمٍ ومُتَعَلِّمٍ ، ولا يمكن بأَحدهما دون الآخر.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٦١/ح١٤.

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤/ح٥.

والمعلم الإلٰهي ، هو : (الثقلان) : القرآن الكريم وأَهل البيت الأَطهار عليهم السلام ، والمُتَعَلِّم هو : العقل. فالتفت واغتنم تربت يداك.

اللغَة والقراءة الثَّانية : (اللغَة والقراءة الذَّوقيَّة)

المنهج المعرفيُّ والعقائديُّ المختار في التَّعَامل والتَّعاطي مع بيانات الوحي الإلٰهيّ الواردة في أَبواب المعارف الإلٰهيَّة ؛ والمباحث العقائديَّة يشمل أَيضاً : اللغَة والقراءة الوجدانيَّة الذَّوقيَّة المُبَدَّهة ؛ المُتَّكئة على دائرة الوجدانيَّات الفطريَّة البديهيَّة ، وهي لاقطة فطريَّة أَودعتها يد السَّماء في دخيلة ذات جملة البشر ، ولها بالغ التَّأْثير في إِدراكات الفكر ؛ فتُعطي للفكر مواد علميَّة يُتَرْجِمها بلغته ؛ كيما يفهمها الآخرون .

وإِلى هذه اللغة أَشارت بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

٢ـ بيان قوله جلَّ ثناؤه : ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ (٢) .

---

(١) الأنعام : ١٢٥.

(٢) الصافات : ٣١.

٣ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (١) .

٤ـ بيان قوله جلَّ قدسه : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٢) .

٥ـ بيان قوله تقدَّست أسماؤه : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣) .

٦ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٤) .

٧ـ بيان قوله جلَّ اسمه : ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥) .

٨ـ بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ

---

(١) آل عمران : ١٨٥ .

(٢) الفرقان : ٦٣ .

(٣) فُصِّلَت : ٣٤ ـ ٣٥ .

(٤) النازعات : ٤٠ ـ ٤١ .

(٥) الأنعام : ٤٣ .

﴿بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

٩ـ بيان قوله جلَّ ثناؤه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٢).

١٠ـ بيان قوله جَلَّت آلاؤه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٣).

وغير ذلك من بيانات الوحي الإلٰهيّ الوافرة الباهرة، الدَّالَّة على وجود حواس وسمع وقلب وبصر ورادار في دخيلة روح الإنسان،

---

(١) البقرة: ١٦ ـ ٢٠.

(٢) الأعراف: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) الحج: ٤٦.

تأتيه دائماً نداءات ورسائل في حالة اليقظة والمنام ، فمَنْ لم يَصغِ إِليها فهو أَصَمٌّ أَبْكَمٌ ، لا يُبصر ولا يَعْقِل.

هذا هو العلم الذَّوقيّ ، قد فَتَحَتهُ يد السَّماء لجملة البشر ، بل لِطُـرِّ المخلوقات . ولغته لغة ذوقيَّة تعود إِلى الوجدان ، وهو يرجع إلى البديهيَّات ؛ الَّتي هي وحي إِلٰهيٌّ مغروز في ذات الإِنسان ؛ المشار إِليه في بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ وعلا : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّه جيئ باسم الإِشارة للبعيد مع قرب المشار إِليه ؛ وذلك للدلالة على علو مقام الفطرة ، وهي : دين الله القيِّم، المحتويَّة على أُصول وأُسس الدِّين : القرآن الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، غُرزت في دخيلة ذات الإِنسان ، ومِنْ ثَمَّ أَحَد أَسماء القرآن الكريم : أَنَّه (ذكر).

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله عزَّ اسمه : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) الروم : ٣٠.

﴿ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (١).

والذِّكْر والتَّذَكُّر : علم روحيّ ، قلبي ، وجدانيّ .

ومعناه : أَنَّ العلم البالغ والكامل هو : العلم الحضوري دون الحصولي .

خلافاً لِـمَا سار عليه الفلاسفة والمناطقة ؛ فإِنَّهم قَصَرُوا العلم على الحصولي.

نعم ، العلم الحصولي مُقَدِّمة ومُعِد للعلم الحضوري.

وكثير من الأَفكار الَّتي تنقدح في دخيلة ذات الإِنسان على مدار السَّاعة ليست حقيقتها فكرة ، بل صوت أَو رؤية بصريَّة روحيَّة .

وهذه ليست نبوَّة ولا إِمامة ولا سفارة ، وإِنَّما طبيعة الإِنسان : مخلوق مَلَكُوتيّ ، يَتَمَتَّع بشبكات وتشجيرات أخطبوطيَّة مرتبطة بالمَلَكوت ، تأتي من خلالها النداءات .

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيـان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الـمُشير لإِحداها ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام ، قال : « سُئل مِمَّا خلق الله عز وجل العقل ، قال: **خلقه مَلَك ، له رؤوس بعدد**

---

(١) يس : ٦٩.

الخلائق ، مَنْ خُلق ، ومَنْ يُخلق إلى يوم القيامة ، ولكُلِّ رأسٍ وجهٍ ، ولكُلّ آدميٍّ رأس من رؤوس العقل ، و اسم ذلك الإِنسان على وجه ذلك الرَّأس مكتوب ، وعلى كُلِّ وجه سترٍ مُلْقىٰ ، لا يُكشف ذلك الستر مِنْ ذلك الوجه حتَّىٰ يُولَد هذا المولود ، ويبلغ حَدّ الرِّجال ، أَوْ حَدّ النِّساء ، فإذا بَلَغَ كشف ذلك الستر ، فيقع في قلب هذا الإِنسان نور، فيفهم الفريضة والسُّنَّة ، والجيِّد والرَّدي ، أَلَا ومثل العقل في القلب كمثلِ السِّراج في وسط البيت » (١) .

ودلالته واضحة ، بعد الإِلتفات : أَنَّ المراد من (القلب) في المقام الوارد في بيانه ﷺ : « **ومثل العقل في القلب** » : الرُّوح ، فيكون المعنىٰ : « ومثل العقل في روح الإِنسان كمثل السراج في وسط البيت ».

والمراد من (العقل) : مخلوق ، مهول ، ومهيمن ، أَعظم رتبة ، وأَخطر هولاً ، وأَرفع درجة ومقاماً من عَالَم (الجنَّة الأَبديَّة) فضلاً عمَّا دونها من سماوات وغيرها.

وتمييز هذه النداءات الحقَّة عن غيرها الواردة من قوىٰ الشَّرِّ

---

(١) بحار الأَنوار ، ١ : ٩٩/ح١٤.

والنَّفس والشَّيطنة [١] والمشار إليها في بيانات الوحي الإلٰهيّ الأُخرىٰ ـ منها :

١ـ بيان قوله جلَّ جلاله : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [٢].

٢ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [٣].

٣ـ بيان قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [٤].

٤ـ بيان قوله علا ذكره : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ

---

(١) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ الإنسان إِنْ لم يكن معصوماً فلا محالة : إِمَّا أَنْ تحصل له إِيحاءات شيطانيَّة أَو نفسانيَّة.

بل هناك مخلوقات غابيَّة حيوانيَّة من قوىٰ الشَّرِّ والضَّلال ، شرسة وكثيرة جِدّاً ، مغروزة في ذات الإِنسان ، تُؤثِّر على سيره النَّفسي والفكري والقلبي ، وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها : بيان (حديث جنود العقل والجهل) للإِمام الصَّادق عليه السلام ، فراجع إِنْ شئت، أُصول الكافي ، ١ : ١٧ـ١٨/ ح١٤.

(٢) الأنعام : ١٢١.

(٣) الأنعام : ١١٢.

(٤) مريم : ٨٣.

الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (١).

٥ـ بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٢) ـ (٣) يَتِمُّ مِنْ خلال العرض على مُحكمات القرآن الكريم ومُحكمات السُّنَّة الشَّريفة ؛ وعلى لغة بديهيَّات الوجدان ، ولغة الذَّوق ، ولغة بديهيَّات العقل.

إستنباطات أَهل المعرفة

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات : أَنَّ جُلَّ استنباطات أَهل المعرفة مبتنية على استنباطات ذوقيَّة وبالعلم الذَّوقي ، مستفادة من بيانات الوحي ، وليست متابعة لمكاشفاتهم ورياضاتهم الخاصَّة .

مراعاة القواعد المعرفيَّة

وينبغي الالتفات أَيضاً : أَنَّ من الأُمور المعرفيَّة والصِّناعيَّة في

---

(١) الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٢) ق : ١٦.

(٣) هذه الشَّارطة عدل للشَّارطة المتقدِّمة قبل كلمة : (منها) ، فتكون العبارة هكذا : « وتمييز هذه النداءات الحقَّة عن غيرها الواردة مِنْ قوىٰ الشَّرِّ والنَّفس والشَّيطنة والمشار إِليها في بيانات الوحي الإِلٰهيّ الأُخرىٰ يتمُّ مِنْ خلال العرض على مُحكمات ... ».

علم المعارف : أَنَّ القواعد المعرفيَّة المُبَيَّنة في بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ وهي : قواعد بلغة عقليَّة وذوقيَّة مُبَدَّهة ـ إِذا روعيت في مواطنها ومصاديقها ، بل ومع قواعد أُخرىٰ فستكون النتائج لا محالة باهرة مذهلة.

عصارة ما تقدَّم في اللغة والقراءة الذَّوقيَّة

والخلاصة : أَنَّ العلم والعلوم على أَنواع وضروب ، منها : (العلم الذَّوقي) وهو ـ وإِنْ كان على درجات ، لكنَّه ـ رؤية عيانيَّة وجدانيَّة للحقائق والواقعيَّات ، ولا يمكن وصول المخلوق إلى أَعماق فهم الحقائق والواقعيات مِنْ دونه [١] .

ومعناه : أَنَّ العلم الذَّوقيّ يُعطي فهماً غائراً وغائصاً.

لب لُباب ما ذكرناه في القراءتين

فتلخَّصَ مِنْ كُلِّ ما ذكرناه : إِنَّ البُعد والعمود الأَصل في بيانات الوحي المعرفيَّة ـ لا سيما العقائديَّة ـ هو البُعد : (العقلي) ، و(الفطري) ، و(التَّكويني) ، ولغتها : (عقليَّة) ، و(فطريَّة) ، و(تكوينيَّة).

---

(١) مرجع الضَّمير : (العلم الذَّوقي).

تنبيهات:

هناك أُمور وقضايا لتوضيح وتسهيل هضم ما تقدَّم ، منها : بيان بعض معالم حقيقة : العقل ، والفهم ، والذَّات وما يجول فيها ، نذكرها إِجمالاً [١] تحت عنوان : (تنبيهات) :

التَّنبيه الأَوَّل:

العقول مخلوقات جسمانيَّة لطيفة

هناك قضيَّة ضروريَّة جِدّاً ، ينبغي للباحث في أَبواب المعارف وغيرها تحسُّسها وتذوّقها ، لكنَّه يحتاج دهراً ، ومَنْ يدركها فقد عرج وارتقىٰ في سماء عَالَمَ المعارف اللامتناهي ، حاصلها : أَنَّ العقل : عَالَمٌ وملكٌ وروحٌ ومخلوقٌ مهولٌ ، حيّ شاعر حسَّاس حيويٌّ ناطق ، مِنْ عَالَمَ الأَجسام ، لطيف ، له مادَّة وصورة ، قابل للتَّكامل.

خلافاً لِـمَا ذهب إِليه ابن سينا ومن جرىٰ على شاكلته إِلى يومنا هذا ؛ فإِنَّهم ذهبوا إِلى أَنَّه لاقطة معلومات ، ومرآة عاكسة وجامدة ليس إِلَّا ، ومن عَالَمَ الـمُجَرَّدات ، ليست فيه حركة وغير قابل للتَّكامل . لكنَّه مخالف لِـمَا صدعت به بيانات الوحي الوافرة الظافرة.

---

(١) تفاصيل هذه الأَبحاث والتنبيهات تأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في أَبوابها الخاصَّة ، فانتظر.

فلاحظ منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله المُتَقَدِّم ، عن أَمير المؤمنين عليه السلام ، قال : «أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله سُئِلَ مِمَّا خلق الله عزوجل العقل ، قال: **خلقه مَلَك ، له رؤوس بعدد الخلائق ، مَنْ خُلق ، ومَنْ يُخلق إلى يوم القيامة ...**» (١) .

ودلالته واضحة ؛ على أَنَّ العقل من عَالَم الملائكة ، وهي مخلوقات : حيَّة شاعرة ، حسَّاسة ، حيويَّة ، ناطقة ، ومِنْ عَالَم الأَجسام اللَّطيفة ، لها مواد وصور، فتكون قابلة للحركة والتَّكامل ، فكذا العقل.

إِنْ قُلْتَ : إِنَّ الثَّابت لدىٰ أَهل المعقول : أَنَّ الملائكة مخلوقات مُجَرَّدة تَجَرُّداً تامّاً عن الجسميَّة ، والعقل بعدما وصفه سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بأَنَّه : (ملك) فيكون مجرَّداً تَجَرُّداً تامّاً عن الجسميَّة أَيضاً ، فيبطل القياس، وحينئذٍ لا يكون قابلاً للتَّكامل ؛ لإِنتفاء الحركة والمادَّة .

قلتُ : إِنَّه وإِنْ كان الأَمر كذلك ، لكنَّ الثَّابت في بيانات الوحي الوافرة الباهرة : أَنَّ للملائكة مواد وأَبدان جُسمانيَّة ، لكنَّها لطيفة ومجرَّدة عن المادَّة الغليظة ، فتكون قابلة للحركة والتَّكامل على وفق القاعدة ، فكذا العقل.

---

(١) بحار الأَنوار ، ١ : ٩٩/ح١٤.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان قوله جَلَّت آلاؤه : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (١) .

ثانياً : بيان حديث المعراج : « ... **أَتَىٰ جبرئيل عيناً فتوضأ منها ، ثُمَّ قال : يا محمَّد ، توضأ ، ثُمَّ قام جبرئيل فأَذَّنَ...** » (٢) .

ثالثاً : ما ورد عن ابن عبَّاس ، قال : « ... **كان جبرئيل** عليه السلام **جالساً عند النَّبيّ** صلى الله عليه وآله **عن يمينه إِذْ أَقبل أَمير المؤمنين** عليه السلام **فضحك جبرئيل** عليه السلام ... » (٣) .

رابعاً : ما ورد عنه أَيضاً ، قال : « **المَلَك الَّذي جاء إِلى محمَّد** صلى الله عليه وآله **يخبره بقتل الحسين كان جبرئيل الرُّوح الأَمين ، منشور الأَجنحة ، باكياً صارخاً...** » (٤) .

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ الملائكة مِنْ عَالَم الأَجسام ، لها مادَّة تعرض عليها الحركة ، فتكون قابلة للتَّكامل.

---

(١) فاطر : ١.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٤/ ح٩٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩ : ٩٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤٤ : ٢٣٧/ ح٢٨.

بل نقل صاحب البحار ﷺ إِجماع الإِماميَّة ، بل جميع المسلمين ـ إِلَّا مَنْ شذَّ ـ على ذلك ، ونصُّ عبارته : « إِعلم أَنَّه أجمعت الإِماميَّة ، بل جميع المسلمين إِلَّا مَنْ شَذَّ منهم من المتفلسفين الَّذين أَدخلوا أَنفسهم بين المسلمين لتخريب أُصولهم ، وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة، وأَنَّهم أجسام لطيفة نورانيَّة ، أُوْلِي أَجنحة مَثْنَىٰ وثلاث ورُبَاع وأكثر ، قادرون على التَّشَكُّل بالأَشكال المختلفة ، وأَنَّه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأَشكال والصُّور على حسب الحكم والمصالح ، ولهم حركات صعوداً و هبوطاً ، وكانوا يراهم الأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام، والقول بتجرُّدهم وتأويلهم بالعقول والنُّفوس الفلكيَّة ، والقوىٰ والطَّبائع ، وتأويل الآيات المتظافرة ، والأَخبار المتواترة تعويلاً على شُبُهَات واهية واستبعادات وهميَّة زيغ عن سبيل الهدىٰ ، واتّباع لأَهل الجهل والعمىٰ . قال المُحقِّق الدواني في شرح العقائد : الملائكة أَجسام لطيفة قادرة على التَّشَكُّلات المُختلفة . وقال شارح المقاصد : ظاهر الكتاب والسُّنَّة ـ وهو قول أَكثر الأُمَّة ـ أَنَّ الملائكة أَجسام لطيفة نورانيَّة، قادرة على التَّشكُّلَات بأَشكال مختلفة. كاملة في العلم والقدرة على الأَفعال الشَّاقَّة. شأنها الطَّاعة... »[1] .

(١) بحار الأَنوار ، ٥٦ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : « **اعرفوا العقل وجنده ، والجهل وجنده تهتدوا ، ... إِنَّ الله عزوجل خلق العقل ، وهو أَوَّل خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره ، فقال له : أَدْبِرْ ، فأَدْبَرْ ، ثُمَّ قال له : أَقْبِلْ ، فأَقْبَلْ ، فقال الله تبارك وتعالىٰ : خلقتك خلقاً عظيماً ، وكرَّمْتُكَ على جميع خلقي ...** » (١) .

ودلالته واضحة على أَنَّ العقل من عالم الأَرواح ، وهي أَجسام لطيفة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : « ... **والرُّوح جسم رقيق ، قَدْ أُلبس قالباً كثيفاً...** » (٢) .

وبالجملة : ما ذكره الإِمام الصَّادق عليه السلام في بيان حديث : (جنود العقل والجهل) برهان وحيانيٌّ دالٌّ على معادلة وقاعدة معرفيَّة مستفيضة ، وردت في بيانات الوحي الباهرة ، مطويَّة فيها قواعد معرفيَّة كثيرة ؛ مهولة وخطيرة جِدّاً ، منها :

الأُوْلَىٰ : إِنَّ المراد من عنوان : (العقل) الوارد في بيانات الوحي

---

(١) أُصول الكافي ، ١ : ١٧/ ح١٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٦ : ٢١٦/ ح٨. الاحتجاج ، ٢ : ٩٦.

والعلوم المعرفيَّة ليس الـمُـخ ؛ فإنَّه آلة جسمانيَّة للعقل ، وإنَّما مخلوق مهول ، ذو طبيعة ملائكيَّة.

الثَّانية : إنَّ هناك عَالَمَاً وجوهراً عقليّاً أَلطف مِنْ عَالَم الجنَّة الجسمانيَّة الأُخرويَّة الأَبديَّة ، فضلاً عن ما دونها من عوالم الأَجسام والجنَّة البرزخيَّة.

فعَالَم الرَّوحانيِّين وإنْ كان من عَالَم الأَجسام اللَّطيفة[1] ، لكنَّه ملكوت وغيب لما دونه ، كعَالَم الجنَّة الجسمانيَّة الأُخرويَّة الأَبديَّة.

وهذا برهان دالٌّ على أَنَّ العوالم الجسمانيَّة من حيث اللَّطافة والقُوَّة على درجات ومراتب وطبقات إلى ما شاء الله.

الثَّالثة : إنَّ عَالَم الرَّوحانيِّين لا يقتصر على عَالَم العقل ، نعم هو أَوَّلها.

الرَّابعة : إنَّ العَالَم العقلي هو : أَوَّل الْعَوالِم الْمُجرَّدة عن المادَّة الغليظة.

---

(١) ينبغي الإلتفات : إنَّه وإنْ لم تكن للعقل أَبعاد الجسم الثَّلاثة ـ الطول والعرض والعمق (الارتفاع) ـ لكنَّ له مادَّة لطيفة وصورة ، لكَّنها ليست صاحبة أَبعاد جغرافيَّة ، فهو وإنْ لم يكن جسماً بالمعنىٰ الأَوَّل ـ أَي : صاحب الأَبعاد الثَّلاثة ـ لكنَّه جسم بالمعنىٰ الثَّاني ـ أَي : صاحب مادَّة وصورة ـ.

التَّنبيه الثَّاني:

العقل أَحَد مواليد العرش

إِنَّ الثَّابت في بيانات الوحي : أَنَّ هناك عوالم تكوينيَّة مخلوقة فوق عَالَم العقل.

بل الثَّابت أَيضاً : أَنَّ العَالَم العقلي قطرة في بحور مخلوقات مهولة.

لكن : هذا المبحث غفلت عنه مدارس البشر المعرفيَّة كالفلسفيَّة والعرفانيَّة ، إِلَّا بعض فلاسفة الإِماميَّة الَّذين اسْتَشَفُّوا ذلك من بيانات الوحي.

بل الثَّابت في بيانات الوحي : أَنَّ العقل أَحَد مواليد العرش.

التَّنبيه الثَّالث:

عدم إِنحصار العلم بقوَّة العقل النَّظري

ما تمرُّ به البشريَّة في العصر الرَّاهن مِنْ أَزمات ناشئة من إِعتقادها بـ : إِنحصار العلم بقوَّة الفكر والعقل النَّظري.

لكنَّ الحقَّ وما عليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة : أَنَّ العلم على طبقات ودرجات ، أَحَدها : المحبَّة في الجانب الرُّوحي والوجداني والعاطفي ، وهذه أَعظم شأناً من العلم الفكري والعقل النَّظري ، بل

ليس هو إِلَّا مُقَدِّمة لها ، وللعقل العملي.

وهذا بند وركن مُهِمٌّ في حقيقة العقل العملي وبُناه ، ينبغي للإِنسان تفقُّده دائماً.

إِذَنْ : البناء الفكري وإِنْ كان أَمراً راجحاً ، وثروة عظيمة ، لكنْ لا يصحُّ العكوف عليه ، بل لابُدَّ للعاقل من الإِنتقال إلى عرصات وعَالَم العقل العمليّ والرُّوح ؛ لينظر من خلال برج المراقبة إلى ميول وجذبات النَّفس ونفرتها ، فإِذا كانت في غير محلِّها وجب عليه ترويضها.

التَّنبيه الرَّابع :

التَّفرقة بين آثار العقل النَّظري والعملي

إِنَّ البحث والتَّفرقة بين أَفعال العقل النَّظري وأَفعال العقل العملي ذو آثار وثمار مترامية الأَطراف : في المعرفة ، وفي المنهج المعرفي ، وفي اختلاف المدارس والمشارب المعرفيَّة.

وهذا الأَخير [١] بحث حسَّاس للغاية.

---

(١) أَي : آثار وثمار البحث والتَّفرقة بين أَفعال العقل النَّظري وأَفعال العقل العملي ، تظهر في اختلاف المدارس والمشارب المعرفيَّة والتَّفرقة بينها.

التَّنبيه الخامس:

للعقل العملي جهات وآليَّات وبنود

إِنَّ للعقل العملي عِدَّة صفات ومُـمَيِّزات ، وله عِدَّة آليَّات وبنود وجهات وفصول وأَقسام ، وقد يكون بعضها نشيطاً ومُفعَّلاً والآخر مُجمَّداً ؛ فيكون صاحبه عاقلاً أَو أَعقل من جهة ، وليس بعاقل أَو أَعقل من جهة أَو جهات أُخرىٰ.

نعم ، فَعَّلَ جميع صفاته ومُـمَيِّزاته وآليَّاته وبنوده وجهاته وفصوله وأَقسامه كُمَّل المخلوقات : الأَنبياء والأَوصياء والأَصفياء والأَولياء ، ومِنْ ثَمَّ تجتمع في حقِّهم جملة العلوم من جميع الجهات والأَقسام ؛ فلذا كانوا الأَعقل في كافَّة الإِتِّجاهات.

ومن جملة خِصال العقل العملي : أَنَّ جملة من بنوده ليست فكريَّة فحسب، بل إِدراكيَّة ووجدانيَّة ، وعليه : فقد يُدرِك الإِنسان الأُمور والقضايا بفكره ، لكنَّ وجدانه في حالة غفلةٍ وسُباتٍ ، فيكون أَعمىٰ قلباً وروحاً ووجداناً وإِنْ كان يقظاً فكراً ومفهوماً ، ويُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ : (عليم اللسان).

وبالجملة : مهما بلغ غير المعصوم فلابُدَّ أَنْ تكون أُميَّة في بعض طبقات ذاته ومراتبها.

وهذه الأُميَّة أزمة البشر ومشكلتهم في العصر الرَّاهن.

التَّنبيه السَّادس:

الْقوى الإدراكيَّة المُسَلَّحَة لدى الإنسان

إنَّ للعقل عين مُسَلَّحَة وثاقبة تُدْرِك ما لا تُدرِكه العين الحسيَّة الدُّنيويَّة المرئيَّة ، بل تُدرِك ما لا يُدرِكه الحسّ الجسماني ـ أَي : العين الدُّنيويَّة غير المرئيَّة ـ بل وتُدرِك ما لا يُدرِكه أَهل البرزخ بعين الجسم البرزخي ، بل وتُدرِك ما لا يُدرِكه أَهل الآخرة الأَبديَّة بعين الجسم الأُخروي الأَبدي.

ومعناه : أَنَّ للإِنسان أَجساماً وأَعضاءً وحواسّاً مختلفة ، ومُجَهَّز بأَدوات إِدرَاك ضخمة ، تتلَطَّف وتشتدُّ وتَقْوَىٰ كلَّما لطفت واشتدَّت وقويت عوالمها الصَّاعدة ، فهناك عين عقليَّة فوق عين العقل النَّظري ، وعين قلبيَّة فوق عين العقل العملي ، وعين السِّرّ فوق عين القلب ، وعين الخفي فوق عين السِّر ، وعين الأَخفىٰ فوق عين الخفي.

وقد يُطلق (عنوان العقليَّة بالمعنىٰ الأَعم) في بيانات المعارف على جميع هذه الطَّبقات.

التَّنبيه السَّابع:

عَالَم رؤية العقل

إِنَّ مَنْ يُرَكِّز على رؤية العقل فسيراها من عَالَمٍ آخر ؛ غير عَالَمَ الحسِّ وعَالَمَ الخيال وما شاكلهما ، ومِنْ سنخ وموجات وذبذبات أُخرىٰ، والبشر يتعاطاها ويتعامل بها كلمح البصر ، ومِنْ ثَمَّ لا يُركِّز ولا يستشعر بتلك الحركة.

وهذه الرُّؤية العقليَّة هي المُتَحكِّمة ؛ وغرفة التَّحَكُّم بِعَالَمَ حسِّ صاحبها وخياله وما شاكلهما.

التَّنبيه الثَّامن:

قِوَى الإِنسان العقليَّة تفوق قوى سائر المخلوقات العاقلة

إِنَّ القوىٰ العقليَّة المودعة في ذات الإِنسان تفوق القوىٰ العقليَّة المزوَّد بها الجن ، بل وتفوق القوىٰ العقليَّة المزوَّد بها جملة الملائكة ، فإِذا استقام الإِنسان تخطَّت قواه العقليَّة بالفعل القوىٰ العقليَّة الَّتي زوِّدت بها جملة من طبقات الملائكة ، بل لو كان من كُمَّل المخلوقات ـ كأَهل البيت عليهم السلام ـ فاقت قواه العقليَّة بالفعل جملة قوىٰ الملائكة العقليَّة منهم المقرَّبين كجبرئيل وإسرافيل عليهما السلام ؛ وسجدوا له.

ومعناه : أَنَّ الإِدراك العقلي والرؤية العقليَّة على درجات وطبقات ومراتب لا متناهية.

التَّنبيه التَّاسع:

عين العقل المُسَلَّحَة

إِنَّ الدِّقَّة العقليَّة عين مسلَّحة ، أَشرس قوَّة ، وأَبعد غوراً ، وأَعظم وغولاً من الدِّقَّة الرِّياضيَّة والهندسيَّة ؛ لإِعتمادهما على قوَّة الخيال ، بخلاف الأُولىٰ ؛ فإِنَّها تعتمد على قوَّة العقل ، وهي الأَرفع.

وهذه نتفة معرفيَّة نفيسة.

ومِنْ ثَمَّ لا يمكن رياضياً ولا هندسياً ولا جغرافيّاً تصوُّر وشَمّ رائحة قواعد وبيانات الوحي المعرفيَّة والعلميَّة الواردة بلغة العقل.

مثاله : بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ ، عن أَبي عبدالله عليه السلام ، قال : «إِنَّ يهوديّاً يقال له: (سِيَخْتُ) جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! جِئْتُ أَسأَلُكَ عن رَبِّكَ ، فإِنْ أَنْتَ أجبتني عمَّا أَسأَلُكَ عنه وإِلَّا رَجَعْتُ، قال : « **سَل عمَّا شِئتَ** »، قال : أَيْـنَ رَبُّـكَ ؟ قال : « **هو في كلِّ مكانٍ وليس في شيءٍ من المكانِ المحدُودِ...** »[1] .

---

(١) أُصول الكافي ، ١ : ٦٧/ ح٩.

وهذه قاعدة معرفيَّة عقليَّة ، لا يمكن لعلم الرياضيَّات وعلم الهندسة وما شاكلهما ضربها وتقنينها، وإِنَّما يُمكن ذلك لنابها الأَكبر: (العقل الوحيانيّ)[١].

التَّنبيه العاشر:

تفعيل قُوَّة العقل

إِنَّ مَنْ يُفَعِّل قوَّة العقل والفكر لديه سينظر تلقائيّاً في ما يصدر عن الطَّرف إلى ما قيل ، ولا ينظر إِلى مَنْ قال.

وهذه القضيَّة شاملة لبيانات المعصومين عليهم السلام. وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الباهرة ، منها :

بيان الإِمام الباقر عليه السلام : « **إِذا حدثتكم بشيءٍ فسألوني عنه في كتاب اللَّه ...** »[٢].

التَّنبيه الحادي عشر:

قُوَّة العقل تُدرك الأَشياء بصورتها الواقعيَّة

إِنَّ تكامل : (الرؤيَّة العقليَّة) ، و(العلم العقلي) ، و(العقل) لا

---

(١) العقل ـ كما مرَّ في بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ـ مَلَك مهول ، أَعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام .
(٢) بحار الأَنوار ، ٨٩ : ٩٠ ـ ٩١/ ح٣٦.

يقف ولا ينتهي في عَالَمَ من العَوالم ، بل الآن رؤيتها تخترق الحُجُب ، فترىٰ الأَشياء بصورتها الحقيقيَّة والواقعيَّة ، بخلاف قـوىٰ النَّفس الإِدراكيَّة الـنَّازلة ـ كـقوَّة : (الحسِّ) ، و(الخيال) ـ ؛ فإِنَّها ترىٰ وجهاً من وجوه الحقيقة والواقعيَّة ، بل هناك طاقات وحقائق وواقعيَّات مهولة ؛ بعضها تتمتَّع بها ذات الإِنسان ، لا ينالها ولا يحسُّها ولا يشمُّ رائحتها حسٌّ ولا خيالٌ ، لكنَّها تُنال بصورتها الـواقعيَّة بـقوىٰ ذات الإِنسان الأُخرىٰ كـقوَّة العقل ، فحقيقـة : (الـحبّ) و(البغض) ـ مثلاً ـ وسائر الأَحاسيس النَّفسانيَّة الأُخرىٰ لا تُدرِك تمام حقيقتها قوَّتا الحسِّ والخيال ، ومُدرِكها : قوَّة العقل وما فوقها.

التَّنبيه الثَّاني عشر :

بث المعلومات قائم على قدم وساق

إِنَّ جملة الدِّين : علم ومعارف ، وعمليَّة البث المعلوماتي قائمة على قدم وساق في طُرِّ العوالم والنَّشَآة.

وعليه : فلابُدَّ أَنْ يكون العقل ولاقطته فعَّالاً في اليقظة والمنام ، وحينئذٍ تصير في العبادة رُوح ونور ونبض وهَّاج.

التَّنبيه الثَّالث عشر:

الموازنة بين قوى النَّفس وتجاذباتها

إِنَّ عمل الرُّوح وموازنة قوىٰ النَّفس مُؤثِّرٌ جِدّاً في قُوَّة إِدراك الإِنسان وحسن عقله وبصيرته.

ومعناه : أَنَّ لعقل الإِنسان القابليَّة على الإِزدياد ، والإِشتداد ، والنَّقص ، والتَّسافل اللامتناهي.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام : « ... **مَنْ سَلَّطَ ثلاثاً على ثلاثٍ فكأَنَّما أَعان على هدم عقله : من أَظْلَمَ نُورُ تَفَكُّره بِطُولِ أَمَلِهِ ، وَمَحَا طرائف حكمته بفضول كلامه ، وأَطفأ نُورَ عِبْرَتِهِ بشهوات نفسه ، فكأَنَّما أَعَانَ هَوَاهُ على هَدْمِ عَقْلِهِ ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عليه دِيْنَهُ وَدُنْيَاهُ...** »[1].

وهذه من بدائع معارف بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف.

وعليه : فلا يُخَيَّل للإِنسان أَنَّ عقله على وتيرة واحدة ، بل بقدر ما يستقيم الإِنسان يزداد عقله بريقاً ، والعكس بالعكس.

---

(١) أُصول الكافي ، ١ : ١٣/ ح١٢.

ومنه يتَّضح : أَنَّ الإِدراك ليس هو حركة الفكر من المعلوم إِلى المجهول فحسب ، بل هناك أَمر آخر ، له مدخليَّة في الإِدراك أَعظم من حركة الفكر ، وهو : الموازنة بين قوىٰ النَّفس وتجاذباتها.

التَّنبيه الرَّابع عشر:

الخلط بين المعاني العقليَّة والمعاني الذِّهنيَّة

ينبغي أَنْ لا يُخلط بين المعاني العقليَّة وبين المعاني الذِّهنيَّة والفكريَّة المتبادرة في الأَذهان ؛ لأَنَّ العالم العقلي ليس ما نتوهمه ويتبادر إِلى أَذهان عامَّة البشر ؛ من أَنَّه صقع وموجود فكري وإِدراك ذهنيّ ، وإِنَّما هو جوهر وحقيقة تكوينيَّة ، مُنْفَكَّة ومُنحَازة عن ذواتنا ، وله عالمه الخاصّ ، وهو فوقَ عَالَمَ الجنَّة الأَبديَّة ، ومهمين على ما دونه من العوالم، فهو داخل فيها ، لكن لا بالممازجة ، وخارج عنها ، لكن لا بالمزايلة ، ومعناه : أَنَّه آية من آيات هيمنة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسَة ، فتكون معانيه : جواهر ووجودات تكوينيَّة خارجة ومُنحازة ومُنْفَكَّة عن ذواتنا.

فأعدِ الكَرَّة ، ولاحظ ما تقدَّم من بيانات الوحي وغيرها فستجد صِدْقَ ما ذكرناه واضحاً.

ومنها يتَّضِح : أَنَّ العين العقليَّة والإِدراك العقلي : جوهر وأَمر

تكوينيّ ، وليس هو الفكر والصُّوَر الذِّهنيَّة ، فإنَّ الفكر والتَّفكُّر آليَّة العين العقليَّة ، وواقع المرئي بها[١]: صقع عقليّ واسع وشاسِع ومهيمن على ما دونه. نعم لا يمكنها إدراك كُنْه العَالَم العقليّ والإِحاطة به ، وإِنَّما إِحاطتها بمساحات وبُقَعٍ منه.

وهذه القضيَّة مِنْ أَوَّليَّات بحوث المعارف ، لا يمكن للباحث في أَبواب المعارف تخطِّيها.

التَّنبيه الخامس عشر:

قاعدة : (التَّوقيتيَّة والتَّوقفيَّة)

إِنَّ قاعدة : التَّوقيتيَّة والتَّوقفيَّة والتَّعَبُّديَّة لا تعني ما تخيَّله وتوَهَّمَه الكثير؛ منهم بعض الإِخباريِّين والأُصوليِّين ، فإِنَّ التَّقييد بالنَّصِّ الوحياني في قِبَال مدرسة الإِستحسان والرأي لا يعني : الجمود على سطح وظاهر ألفاظ بيانات الوحي ، وإِنَّما يعني : التَّمَسُّك بقوالبها ؛ والغور والغوص في بطونها وبحور معانيها اللامتناهية ؛ والوغول في بحار معارف الدِّين والحقيقة والعوالم الغيبيَّة الملكوتيَّة اللامتناهية ؛ بالشَّواهد والدلائل والموازين الوحيانيَّة والعلميَّة.

---

(١) مرجع الضَّمير في كلمة : (بها) و (لا يمكنها) : العين العقليَّة.

وهذا أَحَد المعاني الخفيَّة والرَّقيقة واللَّطيفة جِدّاً لقاعدة : «**لا جبر ولا تفويض ، إِنَّما أَمر بين أَمرين**».

التَّنبيه السَّادس عشر :

هويَّة الرَّاوي مؤثِّرة في فهم الرُّوايَّة

هناك أَمرٌ مُهِمٌّ في تفسير بيانات الوحي الصَّادرة عن المعصوم عليه السلام، ينبغي الإِلتفات إِليه ومراعاته ، حاصله : أَنَّ هويَّة الرَّاوي ، واتِّجاهه الفكري ، وذهنيَّته مُؤثِّرةٌ في فهم بيانات المعصوم عليه السلام، لأَنَّه عليه السلام حينما يُخاطب الطَّرف يُلاحظ عقليَّته ونزعته واتِّـجاهه.

* القرآن الكريم.

١. الإحتجاج ، أحمد بن عَلِيّ بن أَبي طالب الطَّبرسيّ.
٢. أُصول الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكلينيّ.
٣. الأَمالي ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.
٤. بحار الأَنوار ، محمَّد باقر المجلسي.
٥. التوحيد ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن بابويه القُمِّيّ.
٦. غرر الحكم ، الشَّيخ عبد الواحد بن محمَّد التميميّ الآمديّ.
٧. كنز العمَّال، علاء الدِّين عَلِيّ المتقي بن حسام الدِّين الهنديّ.
٨. المحتضر ، الشيخ عز الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحلّيّ.
٩. ميزان الحكمة ، الشَّيخ محمَّد الريشهريّ.

الْمُقَدِّمَة ٩

المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي ١٣

الأُوْلَى: اللغة والقراءة العقليَّة ١٣

إحداث العلم والمعلومة الحقَّة لأَهل البيت عليهم السلام ٢٠

ضحالة منهج: (حصر طريق المعرفة بالظَّنِّ التَّعَبُّدِي) ٢٤

الحُجَج والمُحْكَمَات على مراتب طوليَّة ٢٥

حجِّيَّة الخبر ٢٨

ضرورة التَّمسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في أَعماقها اللامتناهيَّة ٣٤

قاعدة التَّوقيفيَّة شاملة لكافَّة المعارف الإِلهيَّة ٣٤

معنى قاعدة التَّوقيفيَّة: التَّمسُّك بأَلفاظ الوحي والغور في بحور معانيها ٣٤

خلاصة ما تقدَّم ٣٥

إِشكال وجواب ٣٧

المراد من الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ٣٩

مراد الفقهاء من صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ٣٩

نُكتة تقدُّم الجهة الأُولى والثانية على الثالثة : ٤٠

أَدلَّة تراتب الحُجَج الثلاث ٤٥

عصارة ما تقدَّم ٥٤

اللغَة والقراءة الثَّانية : (اللغَة والقراءة الذَّوقيَّة) ٥٥

إِستنباطات أَهل المعرفة ٦٢

مراعاة القواعد المعرفيَّة ٦٢

عصارة ما تقدَّم في اللغة والقراءة الذَّوقيَّة ٦٣

لب لُباب ما ذكرناه في القراءتين ٦٣

تنبيهات : ٦٤

التَّنبيه الأَوَّل : ٦٤

العقول مخلوقات جسمانيَّة لطيفة ٦٤

التَّنبيه الثَّاني: ٧٠
العقل أَحَد مواليد العرش ٧٠
التَّنبيه الثَّالث: ٧٠
عدم إِنحصار العلم بقوَّة العقل النَّظري ٧٠
التَّنبيه الرَّابع: ٧١
التَّفرقة بين آثار العقل النَّظري والعملي ٧١
التَّنبيه الخامس: ٧٢
للعقل العملي جهات وآليَّات وبنود ٧٢
التَّنبيه السَّادس: ٧٣
الْقِوى الإِدراكيَّة المُسَلَّحَة لدى الإِنسان ٧٣
التَّنبيه السَّابع: ٧٤
عَالَم رؤية العقل ٧٤
التَّنبيه الثَّامن: ٧٤
قِوَى الإِنسان العقليَّة تفوق قوى بقيَّة المخلوقات العاقلة ٧٤

التَّنبيه التَّاسع : ٧٥
عين العقل المُسلَّحَة ٧٥

التَّنبيه العاشر : ٧٦
تفعيل قُوَّة العقل ٧٦

التَّنبيه الحادي عشر : ٧٦
قُوَّة العقل تُدرِك الأَشياء بصورتها الواقعيَّة ٧٦

التَّنبيه الثَّاني عشر : ٧٧

بث المعلومات قائم على قدم وساق ٧٧

التَّنبيه الثَّالث عشر : ٧٨
الموازنة بين قوى النَّفس وتجاذباتها ٧٨

التَّنبيه الرَّابع عشر : ٧٩
الخلط بين المعاني العقليَّة والمعاني الذِّهنيَّة ٧٩

التَّنبيه الخامس عشر : ٨٠
قاعدة : (التَّوقيتيَّة والتَّوقفيَّة) ٨٠

التَّنبيه السَّادس عشر: ٨١
هويَّة الرَّاوي مؤثِّرة في فهم الرُّوايَة ٨١
فهرست المصادر ٨٣
فهرست المحتويات ٨٥

صدر للمؤلف :

- التوسل والوسيلة الإلهية فرض وضرورة إلهية
- تعريف حقيقة الإمام عليه السلام والإمامة الإلهية
- علم الحروف وخطورة طبقات حقائق ومقامات أهل البيت عليهم السلام
- حقيقة الوضع قاعدة خذ الغايات واترك المبادئ
- طهارة دم أبدان أهل البيت عليهم السلام وما شاكله
- الشّهادة الثالثة في تشهد الصلاة ضرورة إلهيّة